جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

التجربة الشعرية عند المتوكل طه

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إعداد الطالب :
عبد المجيد عبد العزيز أحمد حامد

بإشراف الأستاذ الدكتور :

عادل محمد أبو عمشة

" قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين . "

في العام الدراسي 2003/2002

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

التجربة الشعرية عند المتوكل طه

إعداد الطالب
عبد المجيد عبد العزيز أحمد حامد

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الاطاريح الجامعية

إشراف الأستاذ الدكتور
عادل محمد أبو عمشة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2002/12/31 وأجيزت

لجنة المناقشة :

أعضاء اللجنة :

1. أ.د عادل محمد أبو عمشة – رئيساً
2. أ.د عادل الأسطة – ممتحناً داخلياً
3. أ.د يحيى جبر – ممتحناً داخلياً
4. د. نادر قاسم – ممتحناً خارجياً

الإهـــداء

إلى تلك الوجوه المتوضئة بالأمل ،

المشرقة حياةً ملؤها الوفاء والمحبة ،

يرفُ القلب وجداً إليهم وحناً لهم ،

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

أبي وأمي وإخوتي وأصدقائي

عصارة جهدي ، وتراتيل حُبي

الباحث

فهـرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
قرار اللجنة	ب
الإهداء	ج
فهرس المحتويات	د
الملخص بالعربية	ز
المقدمة	1
تمهيد	5
الباب الأول	**15**
الفصل الأول : الوطن والثورة	**16**
الأرض والهوية	17
موقف الشاعر من مسيرة التسوية	26
النقد السياسي	33
الثورة الفلسطينية	37
صورة المواجهة	37
صورة الشهيد	44
الفصل الثاني : السجن	**52**
أدب السجون والمعتقلات في الأرض المحتلة	53
حياة المعتقلين وصور معاناتهم	61
الجانب الإيجابي في السجن وميلاد الأمل	68
الفصل الثالث : المرأة	**75**
تمهيد	76
المرأة كيان بيولوجي	79
المرأة كيان عاطفي	81
المرأة في خندق المواجهة وسجون الاحتلال	83
الباب الثاني	**87**
الفصل الأول : التواصل بالتراث	**88**

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تمهيد	89
التراث الديني	92
التراث الديني المسيحي	99
التراث التاريخي	105
التراث الشعبي	128
الفصل الثاني : الصورة الشعرية	**141**
أولا : مفهوم الصورة الشعرية ومقوماتها وأهميتها	142
أنواع الصورة الشعرية وأثرها	146
الصورة المفردة الجزئية	146
الصور المركبة	158
الصورة الكلية	163
الفصل الثالث : اللغة	**166**
أولا : اللغة الشعرية ، مفهومها وخصائصها	167
المعجم الشعري	169
ظواهر لغوية	181
الجملة الشعرية ، نسيجها وتوظيفها	181
استخدام الألفاظ غير العربية	188
استخدام الألفاظ العامية	192
التضاد	195
التكرار	197
الترادف	200
الأخطاء اللغوية والنحوية	204
فضاء العنوان الشعري	207
الفصل الرابع : الموسيقى	**213**
في موسيقى الشعر	214
الإيقاع الشعري	215
القافية	223
الموسيقى الداخلية في شعر المتوكل طه	229
تكرار الأحرف والكلمات	231

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تكرار العبارات	233
القوافي الداخلية والارتباط بقافية رئيسية	237
التدوير	238
التصريع	240
الجناس	242
الطباق	243
الفواصل الصامتة	244
تفتيت الشكل	246
قائمة المصادر والمراجع	249
الملخص بالإنجليزية	260

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الملخـــص

بعد أن فرغتُ من إعداد هذا البحث ، أستطيع أن أُسجل النتائج التالية :

أوّلاً : يعد الشاعر من شعراء الانتفاضة البارزين وقد قُدر لتجربته الشعرية أن تستمر وتقطع شوطاً وتطوراً واضحاً في الرّبع الأخير من القرن العشرين .

ثانياً : تضافرت عوامل عدّة في تشكيل شخصية الشاعر وبلورة إبداعه ، من حيث البيئتين : الخاصة والعامة ، فقد نشأ الشاعر في بيت يحتفي بالأدب إلى جانب تربعه على صدر مكانة اجتماعية عالية ، أما العامة ، فقد تنقّل بين عدّة مناصب وتجارب ساهمت في اطّلاعه على شبكة عريضة من المبدعين والأدباء وإنتاجهم .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثاً : تتصدّر القضية الوطنية خاصة ، والعربية عامة ، قصائد الشاعر ، حيث تمتدّ أجزاء الوطن ، وزخم ثورته العارمة في دواوين الشاعر ، من حيث التغني بالأرض والهوية إلى ممارسة النقد السياسي المبتعد عن الهجاء المقذع ، كما عبّر الشاعر عن تخوفه أو تشاؤمه من مسيرة التسوية مع العدّو الصهيوني .

رابعاً : صوّر الشاعر الزخم والمدّ الجماهيريين ، مستمداً صورة مشرقةً للحياة بعد الموت عبر فلسفة التضحية والاستشهاد ؛ وسعى الشاعر إلى سبر غور العدّو من خلال التسلّل إلى داخله لتقديم صورة انهزاميّة للمحتل .

خامساً : مثّل إنتاج الشاعر امتداداً لحركة (أدب السجون) ؛ حيث أنتج أكثر من مجموعتين شعريتين في أحضان اللهب الصحراوي في النقب ؛ نقل الشاعر صورة السجن بكل ما فيه من ماديات ومعنويات ، إلا أن الشاعر لم ينقل صور التعذيب الوحشي الذي مارسه المحتل في المعتقلات والسجون ، هذا وقد صوّر حياة السجناء مفعمة بالتحدي ومواصلة المسيرة والعطاء ، كما رسم صورة الأمل النابع من قلب المأساة والمعاناة .

سادساً : تبدو صورة المرأة الفلسطينية عند الشاعر متذبذبة غير مكتملة ، حيث تراوحت بين الصورة التقليديّة أو السالبة ؛ وهي الصورة التي تنقل المرأة كياناً بيولوجياً عادياً ، تنجب الأطفال وتشحن الرجل بالحنان ، والصورة الإيجابية التي تنقل المرأة ثائرة إنساناً غير منقوص الدور تقود إلى جانب الرجل معركة المصير المشترك ، كما تناولت صورته الشعرية المرأة الأم ، والمرأة الزوجة ، والمرأة الطفلة ، والمرأة الثائرة الأسيرة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

سابعا : نهل الشاعر من ينابيع التراث الإنساني ، الديني والتاريخي والشعبي ، موظفا ثمرة هذا التراث الضخم في بناء الصورة المعاصرة منقولة عبر هذا التراث ، فقد تمازجت النصوص الشعرية مع القرآنية ، وكذلك مدلولات السلام المسيحية ؛ وما يعكسه الصليب من معاناة ومأساة. ولم يشكل التراث الديني اليهودي ظاهرة موظفة في شعر المتوكل طه لذلك لم أفرد لها بحثا ، وهذا ينسحب كذلك على التراث الأسطوري .

كما وظف الشاعر البعد التراثي التاريخي من خلال توظيف الشخصيات التاريخيـــة أو الأحداث التاريخية بما يتصل بتشابه الحالة وتناسق الأجواء ، ولم يغفـــل الشـــاعر الـــتراث الشعبي ومدى مساهمته في تدعيم الصورة ، وترسيخ معطيات الهوية الوطنية وتعميق الانتمـــاء للأرض والهوية .

ثامنا : الصورة الشعرية قمة الإبداع في النص الشعري عند الشاعر فقد أغدق النص بالصورة التي أثرت العملية الإبداعية كجهد ينأى عن السطحية والمباشرة ، فقد ساهم الشاعر في بنـــاء الصورة عن طريق تبادل المدركات ، وتراسل الحواس والتشبيه والوصـــف المباشـــر ، إلـــى جانب الصورة المركبة التي تميزت عند الشاعر بكونها نسجت بدقة تناسب حجم الموضـــوع ، كالتجربة الاعتقالية والتسوية السلمية ، ولم يغفل الشاعر الصورة الكلية التي بناها عن طريـــق البناء التوقيعي والبناء الدرامي والبناء المقطعي ، بما يخدم الموضوع ويبدع في تقديمه .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تاسعا : عمل الشاعر على تنقية لغته الشعرية وتصفيتها وهي اللغة الفصحى ، ولا شك فـــي أن الشاعر تميز بغنى ثروته اللغوية ومعجمه الشعري ، فوظف الجملة بنوعيها الاسمية والفعليـــة بما يلائم كل مرحلة ، ووظف بعض الظواهر لخدمة تكامل بناء القصيدة مثل التضاد والتكـــرار والترادف ، ولم يسلم من الوقوع في بعض الأغلاط اللغويـــة التـــي عكـــرت صفـــو بعـــض مقطوعاته.

عاشرا : يحفل شعر المتوكل طه بموسيقى غنية وإيقاعات قوية وغنائية عالية تبدو سائرة بشكل أفقي لإحياء النص من خلال تلك القدرة على المحافظة على الوسطية بين التقاليد العروضية والتشبث بالقوافي ذوات الصخب الموسيقي ، وتلك الخيوط اللامرئية من الموسيقى الداخلية وما يكونها لتقديم الفكرة معمقة ومؤثرة من خلال التكرار والقوافي الموازية والتدوير والتصريع والجناس والطباق والفواصل الصامتة ، وسعيه إلى تفتيت الشكل المألوف مع المحافظة على الإطار من خلال اعتماده الشعر الحر (شعر التفعيلة) في كل مجموعاته الشعرية .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حادي عشر : يشهد لتجربة الشاعر ذلك التقدم والتطور المتواصل في كل إصدار ، وتمثل مرحلة (أوسلو) مفصلا هاما في مسار تجربته من حيث الشكل والجوهر ، لينتقل الشاعر من تصوير الحجارة وإشعال الإطارات إلى تصوير استبداد الطبقة الوصولية ؛ وتصوير أزمة الحضور والغياب والمعقول وغير المعقول في دهاليز التسوية والتطبيع ، مع الجنوح نحو التراث وعبق التاريخ ونصوص السماء لتقديم الأحداث والشخصيات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل من البيان سحرا ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وبعد :

برز صوت (المتوكل طه) الشعري على الساحة الأدبية في فلسطين في مطلع العقد التاسع من القرن الميلادي الفائت ، واشتد دوي ذلك الصوت في الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام (1987م) خاصة في أثناء فترات اعتقاله في السجون الصهيونية . قدر لهذه التجربة الشعرية أن تستمر وتتميز وتحظى باهتمام الدارسين والنقاد عبر حقب أنجبت عدة انتكاسات كادت تنسف معنويات أمتنا وتمسخ مقدرتها على الصمود بدءا من نكسة حرب الخليج الثانية ، مرورا بانهيار المعسكر الشرقي الموازي للهيمنة الأمريكية والأطلسية ، وانتهاء بدفن البندقية التي تمثل خيار المقاومة ضد الاحتلال وما نتج عن ذلك من اتفاقات تسووية مع العدو.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بدأت علاقتي بشعر (المتوكل طه) منذ دراستي في المرحلة الجامعية الأولى ، من خلال إعدادي بحثا في الأدب الفلسطيني المعاصر، وقدر لي أن أقرأ مجموعة من الدراسات التي بحثت في شعره ، ساعدني في ذلك إقامة المركز الثقافي الفلسطيني (بيت الشعر) ، الذي مكنني من التقاء الشاعر والتعرف أكثر إلى شخصيته ومعالم تجربته وإبداعه حيث تربطني صلة قوية ببيت الشعر منذ تأسيسه عام (1998) .

ولاحظت أن الدراسات التي أعدت عن شعره تناولت قضايا جزئية من تجربته الشعرية ، جاءت بشكل موجز ومكثف ، ولم أجد دراسة شاملة لهذه التجربة التي لم تقل كلمتها الأخيرة بعد ؛ مما دفعني إلى أن تكون هذه الدراسة شاملة قدر الممكن للشكل والمضمون .

من عوامل اختياري لهذا الموضوع أنّ معظم الدراسات الجامعيّة العليا تتناول أدب الأدباء الذين انتقلوا إلى الرّفيق الأعلى ، فقد جاء اختياري لهذا الموضوع دعماً لفكرة تكريم الأدباء – شعراء أو ناثرين – في أثناء حياتهم وأوج عطائهم .

واستفدتُ من مجموعة دراسات سابقة في شعر (المتوكل) على رأسها دراسة (عادل أبو عمشة) وهي بعنوان : (دراسة في شعر المتوكل طه) وقد أفادتني دراسته في كيفيّة تناول الموضوعات وتقسيمها ، لكنها دراسة موجزة تناولتْ مجموعاته الشعرية التي صدرت قبل (أوسلو).

كانت المشكلة الأولى في إنجاز هذا البحث عدم عثوري على ديوان (الخروج إلى الصحّراء) الذي أصدره الشّاعر عام (1983م) في الأردن ، وقد تخلّى عنه فيما بعد ، ولم أستطع الحصول على نسخة منه لأنه مفقود ، كما رفض الشاعر تزويدي به ، فضلاً عن مشكلة الحصار و الإغلاقات التي صعّبت تحركاتي ولقائي بالباحثين .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

جاء البحث في مقدّمة وتمهيد وبابين وخاتمة على النحو التالي :

أمّا التمهيد: فقد لخصتُ فيه نبذة عن سيرة حياة الشاعر ، والعوامل التي بلورت شخصيته الاجتماعيّة والأدبيّة وأثرها على تجربته الشّعريّة .

وأمّا الباب الأول : فقد جاء في ثلاثة أفصل ، فالفصل الأول جاء بعنوان (الوطن والثّورة في شعر المتوكل طه) ، وقد تتبّعتُ فيه تناوله للقضيّة الوطنيّة ، وأبعاد الهُويّة الفلسطينيّة ، وتصويره للثورة الفلسطينية ورسالتها العادلة ، وشعبيتها ومقدّراتها وإنجازاتها .

الفصل الثاني: بعنوان (السجن في شعر المتوكل طه)، تتبعت فيه صورة السجن عند الشاعر ، وعرضه للوسائل الوحشية في معركة الأمعاء الخاوية ، والبطولات العظيمة التي ظلت امتدادا متوهجا للمد الجماهيري والزخم المعنوي للانتفاضة الفلسطينية .

الفصل الثالث : بعنوان (المرأة في شعر المتوكل طه) تتبعت فيه صورة المرأة عند الشاعر ، وكيف فرضت بطولات المرأة الفلسطينية نفسها على أفقه الشعري ، كما تحدثت فيه عن قصور الشاعر عن إيجاد الصورة الملائمة أو اللائقة لهذا الدور ، وكيف أن الشاعر وقع في معضلة تجريد المرأة من دور الشريك الفعلي للرجل في الساحة النضالية وإبراز دورها أحيانا على شكل ميكانيكي أو عاطفي أو بيلوجي .

أما الباب الثاني فقد اشتمل على أربعة أفصل كما يلي :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

الفصل الأول : (التواصل بالتراث في شعر المتوكل) ،درست فيه التراث وتوظيفه في شعر (المتوكل) ، حيث جاء مقسما على التراث الديني بشقيه الإسلامي والمسيحي، وكذلك التراث التاريخي مقسما بين الشخصيات والأحداث ،و من ثم التراث الشعبي ، وعرضت لتوظيف الشاعر لهذه الكنوز ، ومدى فاعليتها في خدمة الموضوع والصورة معا .

الفصل الثاني : (الصورة الشعرية عند المتوكل)، درست فيه الصور الشعرية من حيث مفهومها في النقد ، وتتبعت أنواعها في شعر (المتوكل طه) ، وأثر تلك الاستخدامات المتنوعة للصورة في بناء القصيدة وإثراء المعاني وتدعيم الإيحاءات .

الفصل الثالث : (اللغة في شعر المتوكل)، تناولت فيه اللغة في شعر (المتوكل طه) من حيث مفهوم اللغة الشعرية ، متتبعا معجمه الشعري وتطور دلالات الألفاظ ،و من ثم عرضت لأبرز الظواهر اللغوية في شعره كالترادف والتكرار وغيرهما .

الفصل الرابع : وقد جاء بعنوان (الموسيقى في شعر المتوكل)، وفيه تناولت الموسيقى عند الشاعر ، الخارجية منها والداخلية ، إلى جانب مكونات الموسيقى الداخلية كالتجانس بين الحروف ، وتجاور الألفاظ وتكرارها والطباق والجناس ، ثم درست القافية ودلالة تمسك الشاعر بها وبتنوعها وأثرها في إثراء عنصر الموسيقى .

ثم ختمت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي خرجت بها من الدراسة . من خلال هذه الموضوعات بذلت جهدي وما في وسعي كي أقدم للمكتبة الأدبية دراسة لتجربة شعرية لم يقل صاحبها كلمته الأخيرة بعد.

إنني إذ أتقدم بهذه الرسالة إليكم ، فإنني أقدمها مع شكري وتقديري لكل من قدم لي العون والمساعدة في إنجازها، وعلى رأس هؤلاء أستاذي الجليل المشرف على هذا البحث (الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشه) الذي لم يأل جهدا ولم يوصد في وجهي بابا حتى استوت أبوابها وفصولها ، كما لا يغيب عني جهد الشاعر (المتوكل طه) على كل ما قدم لي من مكتبته ووقته وكوكبة أخرى من الأدباء والباحثين ، ومن هؤلاء المخلصين الأستاذ (أحمد رفيق عوض) ، والأستاذ الدكتور (عادل الأسطة) ، فلم يبخلوا علي بالمشورة والتشجيع والتوجيه ، وكذلك الشاعر الدكتور (زهير إبراهيم) عونا وعطاء ونبعا لا ينضب .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأدعو الله أن يرزقني القبول ، فإن أحسنت فمن الله ، وإلا ... فمن نفسي ، وحسبي أنني حاولت جهدي أن أقدم خير ما أستطيع .

" وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

تمهيد :

وفيه تعريفٌ بحياة الشاعر ، وعوامل تكوين شخصيّته ، وثبتٌ بإنتاجه .

أوّلاً – المولد والنشأة

ولد الشاعر الفلسطيني (المتوكل سعيد بكر صالح طه نزّال) في العاشر من آذار لعام ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين في مدينة (قلقيلية) في فلسطين لأسرةٍ كبيرة العدد .

كان أبوه حينئذ شيخاً كبيراً ، متزوجاً زيجته الثانية ، بعد أن كانت زوجته الأولى قد توفيت في أثناء اعتقاله في سجن (عكا) إبّان الانتداب البريطاني على فلسطين وكان ترتيب الشّاعر التاسع بين الذكور السبعة والإناث الثلاث .[1]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تفتحت مدارك (المتوكل طه) في بيتٍ حظي بنصيب وافرٍ من الثّقافة ترفدها مكتبةٌ تحتوي على عدد غير قليل من المصادر والمراجع الأدبية والدينية والتاريخية ، ومن هنا سيبرز أثر هذا العامل في تكوين شخصيته الشاعر منذ بداية رحلته مع الحياة .

[1] – مقابلتي مع الشاعر في (رام الله) تشرين الثاني ، 2000 .

أما من الناحية الاجتماعية فالشاعر عاش في كنف أسرة عريقة ، فقد كان أبوه ينظم الشعر ، ويحظى بمكانة اجتماعية رائقة خاصة وأنه أحد المشاركين في الثورة الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني ، فقد لبث في السجن بضع سنين .

وقد سجّل (المتوكل طه) حادثة اعتقال والده في قصيدة (أبي يا أبي) ، يقول : [2]

وماذا أقول لهذي التي انتظرته طويلاً

ومن سجن عكا أتاها جريحاً

وقد مزّقته سيوف الخيانة

والانتداب ؟

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

توفي والده ، فواجه اليتم وهو ابن اثني عشر عاماً ، وقد طبع اليتم على الشاعر بصماته ، فجعله يحرص على النهوض بنفسه ، لكنّ الأمر الذي تجدر الإشارة إليه أنّ اليتم الذي عانى منه الشاعر كان معنوياً يتمثل في فقدانه الصلة الروحية التي ربطت بينه وبين أبيه ؛ فوالده ترك ثروة مادية وأخرى اجتماعية جعلته بعيداً عن الشقاء المادي الذي يكابده الأطفال الأيتام عادة .[3]

وقد عبر الشاعر عن هذا اليتم في القصيدة ذاتها حينما قال :[4]

---

[2] – طه ، المتوكل ، رعوة السوال ، ط1 ، دار الكاتب ، القدس ، 1992 ، 45.

[3] – مقابلتي مع الباحث الأديب ، أحمد رفيق عوض ، بيرزيت ، تشرين الثاني ، 2000 .

[4] – طه ، المتوكل ، رعوة السوال ، 42-43 .

وأذكر لمّا دُفنت وصلّوا عليك

رجعتُ وفيَّ غموض اليتيم وحزن السّحاب

فتح الشاعر عينه وهو ابن تسع سنوات على هزيمة نكراء قاسية هي نكسة (حزيران 1967) بكل ما في هذا الحدث من ملابسات وحقائق غيرت مجرى التاريخ العربي المعاصر ، فالاحتلال يدوس بأحذيته ثرى القدس وقد ساعدت هذه القسوة في بلورة شخصيته في بلورة شخصيته وإدراكه الحقائق مبكراً .

وقد مارس الشاعر نشاطه الوطني من خلال عدة مجالات ، بالقلم والمشاركة في نشاطات الحركة الوطنية كما سيتضح من خلال الحديث عن المؤسسات التي عمل فيها والاعتقال الذي ذاق مرارته عدة مرّات .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانياً – دراسته العلميّة :

درس الشاعر المرحلتين الأساسية والثانوية في مدارس (قلقيلية) لينهي المرحلة الثانوية العامة في مدرسة السعدية الثانوية وتوثقت علاقته باللغة العربية وآدابها في تلك المرحلة ، ونشر بعضاً من محاولاته الأولية عن مجلّات الحائط في مدرسته بتشجيع ودعم بالغين من أساتذته الذين بدأوا آنئذٍ يتلمسّون خيوطاً إبداعية لديه . [5]

---

[5] – المقابلة نفسها .

التحق الشاعر بجامعة (بيرزيت) في عام 1977 ، ليتخرج فيها عـــام 1981 ، حـــاملاً الدرجة الجامعية الأولى في اللغة العربية وآدابها ، ومرحلة دراسته في (بيرزيت) يعدّها الشـــاعر مرحلة التشكل والتبلور ، وإعادة صهره وتكوين وعيه في المجالات كافـــة ، وقـــد أتـــاحت لـــه الجامعة نشر نتاجه الناشئ من خلال المجالات الثقافية والأدبية المتاحة لديها ؛ ومارس الشـــاعر في الجامعة من خلال مجلس الطلبة حياته السياسية والنقابية بشكل ساهم في تكويـــن شـــخصيته وإثراء تجربته . [6]

التحق الشاعر في عام 1981 بجامعة اليرموك في الأردن لاســـتئناف دراســـته العليـــا فأتاحت له هذه المرحلة فرصة الالتقاء بأساتذة وأدباء أثّروا في حياتـــه علـــى رأســـهم الأســـتاذ (إبراهيم السّعافين) ؛ وعمل الشاعر بعد عودته إلى الوطن فـــي عـــام 1983 فـــي التدريـــس والصحافة حتى ترأس اتحاد الكُتّاب والأدباء الفلسطينيين عام 1987 م .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثاً – حياته السياسيّة :

بدأ الشاعر حياته السياسية في جامعة (بيرزيت) من خلال مجلـــس الطلبـــة والانتمـــاء للحركة الوطنية ، وحينما ترأس اتحاد الكُتاب مارس من خلاله الشاعر نشـــاطه السياســـي فـــي التعبير عن الهم الوطني وفضح المحتل ، وبعد انتفاضة عام (1987) بدأت دورة الاعتقال حيـــث

---

(6) – المقابلة نفسها .

اعتقل الشاعر عدة مرات بينها فترات توقيف ، أو تحويل إلى الاعتقال الإداري المتواصـــل. [7]

وقد أثّرت فترات اعتقاله في صميم تجربته الشعرية فأصدر مجموعتين في معتقل النقب همـــا :

(زمن الصّعود) ، و(فضاء الأُغنيات) بين عام 1988 – 1989م .

رابعاً – حياته الاجتماعية .

تزوج الشاعر عام 1985 م من سيدة مقدسية من عائلة (قرّش) ، تحمل شهادة عالية فـــي

الإدارة العامة والإحصاء ، ولديه منها ثلاث بنات وابن واحد ، وهم :

هزار 1986 ، نوار 1989 ، تقى 1992 ، محمد 1994 .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتحتل الحياة الزوجية حيزاً كبيراً من اهتمام الشاعر وروحه ، وهو مقيم مع أُسرته فـــي

(رام الله) في حين يتوزع أشقاؤه بين (قلقيلية) و (الأردن) و (أوروبا) .

خامساً – المناصب التي تقلدها الشاعر وأثرها في إثراء تجربته الشعرّية .

1- رئاسة اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين : 1987 – 1995 م .

وقد أعطاه هذا المنصب فرصة مبكرة للتواصل مع شبكة عريضة من الكتّاب والمبدعيـن

، واطّلع على أعمالهم ونتاجهم قبل نشره ، فضلاً عن حضوره الندوات والنشاطات والفعاليـــات

التي ساهمت في إنهاض حسّه النقديّ ، وثقافته الأدبية . [8]

---

[7] – المقابلة نفسها .

[8] – مقابلتي مع أحمد رفيق عوض ، تشرين الثاني 2000 .

2- **مجلس التعليم العالي : 1992 – 1994 .**

ترأس الشاعر الهيئة العامة فيه مدة عامين ، فمكنه ذلك من الاطلاع على العملية التعليمية في الجامعات الفلسطينية ومشكلات التعليم العالي ، وجعلته على صلة برجالات فلسطين الأكاديميين .

3- **وزارة الإعلام في السلطة الوطنية الفلسطينية : 1995 – 1998 م .**

حيث شغل منصب وكيل مساعد في الوزارة ، فدخل إلى خضّم الحياة العامة من خلال متابعة الآلة الإعلامية في فلسطين والخارج وتقنيات الثورة الإعلامية وخدمتها للثقافة .

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

4- **رئاسة بيت الشعر الفلسطيني : 1998**

وما زال الشاعر في هذا المنصب ، وأهم ما فيه أنه ساعد على إعادة الشاعر إلى أحضان الشعر بعد غيبة في مجالات التعليم العالي والإعلام .

وقد عرض له بيت الشعر كمّاً لا بأس به من الإبداعات والمطبوعات والدراسات الجديدة.[9]

سادساً – ثبت بإنتاجه الشعري والنثري .

أ- **إنتاجه الشعري ، (بحسب التسلسل الزمنّي):** [10]

---

[9] – مقابلتي مع المتوكل طه في تلفزيون نابلس 1999 .

[10] – صدر للشاعر ديوان (الخروج إلى الصحراء) 1983 م ، ولكن الديوان مفقود وغير متداول الآن .

1- مواسم الموت والحياة 1987

2- زمن الصعود 1988

3- فضاء الأغنيات 1989

4- رغوة السؤال 1992

5- ريح النار المقبلة 1995

6- أو كما قال 1999

7- حليب أسود 1999

8- نقوش على جدارية محمود درويش 2001

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ب- الدراسات :

1-بعد عقدين وجيل (الثقافة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة بعد عشرين عاماً من الاحتلال) . بالاشتراك .[11]

تحدث فيه عن الهجمة الإسرائيلية على الثقافة الوطنية ، ودعم الاحتلال للثقافة المهزومة وتصاعد الحركة الوطنية على الرغم من البطش الذي مارسه الاحتلال ، كما تحدث فيه عن

[11] – صدرت الطبعة الأولى منه الدارس الفلسطيني للشؤون القانونية والثقافية . القدس 1987 .

علاقة الذات الثقافية بالذات الوطنية وأساليب الاحتلال في قمعها من خلال ممارساته ضد الصحافة والأدب والتراث الشعبي والفن التشكيلي والمسرح والتعليم .

2- **دراسات في الأدب واللغة (الإنسان ، الشعر ، المسرح ، اللغة).** [12]

حيث تناول الشاعر قضايا أدبية ولغوية مثل صورة الإنسان في الأدب العربي القديم ، والصوت والصدى في الشعر الفلسطيني مثل النكبة ، وقضايا في المسرح ، مثل : المسرح بين المحاكاة والتغريب والتجريب ، فضلاً عن فصل يتضمن آراءه حول نشأة اللغة .

3- **الثقافة والانتفاضة (بعد ألف يوم من الانتفاضة ، وأثر الانتفاضة في الثقافة وأثر الثقافة في الانتفاضة) بالاشتراك.** [13]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد تحدث فيه عن انتفاضة عام (1987) وأثرها على مناحي حياتنا و عن أثر الثقافة في تفجير الانتفاضة وعن أثر الانتفاضة في القصة القصيرة والشعر مع تحليل نماذج من أدب السجون والمعتقلات وعن المرأة وأدب الانتفاضة ، فضلاً عن ملاحق وإحصاءات ووثائق في هذا المجال .

---

(12) – صدرت الطبعة الأولى منه عن مجلة (مع الناس) . القدس 1991 .

(13) – صدرت الطبعة الأولى منه عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة 1991 .

4-**الساخر والجسد (دراسة في شعر إبراهيم طوقان) .** [14]

حيث تحدث فيه عن طبيعة الحياة في فلسطين من 1900 – 1948 وعن حياة الشـــاعر (إبراهيم طوقان) وآثاره الشعرية ، وتحدث فيه عن الجنس والموت ، والســـخرية والمفارقـــة ، ونقائض طوقان وروافده الثقافية ، وهذا الكتاب في أصله أطروحة (المتوكل طه) لنيـــل درجـــة الماجستير من جامعة اليرموك في اللغة العربية وآدابها.

5- **الكنوز (ما لم يُعرف عن إبراهيم طوقان) .** [15]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد جمع فيه قصائد ورسائل وأحاديث إذاعية ومقالات وأخباراً وكلمـــاتٍ مـــن نتـــاج الشّـــاعر (إبراهيم طوقان) لم تعرف من قبل .

6- **هذا ما لزم (رسائل إبراهيم طوقان إلى فدوى).** [16]

صدر كتابه هذا بمقدمة نقدية للرسائل المجموعة في الكتاب ، وفيه مجموعـــة رســـائل الشـــاعر (إبراهيم طوقان) إلى شقيقته الشاعرة (فدوى طوقان) أدرجها (المتوكل طـــه) بحســـب الـــترتيب الزمني لها .

---

[14] – صدرت الطبعة الأولى منه عن دار الفوانيس ، عمان . 1992 .

[15] – صدرت الطبعة الأولى منه عن مؤسسة الأسوار ، عكا . 1998م .

[16] – صدرت الطبعة الأولى منه عن الزاهرة للنشر و التوزيع ، بيت الشعر ، رام الله . 2000 م .

ج- النصوص النثريّة

1-رمل الأفعى (سيرة كتسيعوت/ معتقل أنصار (3) . [17]

وهو سيرة معتقل النقب الصحراوي في جنوب فلسطين خـــلال الفـــترة بيـــن (1988 – 1989) ، وفيه ملحق يحتوي على مجموعة شهادات للأسرى الذين عاشوا التجربة ذاتـــها فـــي المعتقل ذاته .

2. عباءة الورد . [18]

وهي مجموعة نصوص نثرية كُتبت بلغة شاعرية خلال انتفاضـــة الأقصـــى ، جمعـــها الشاعر في كتاب مبتعداً عن الوصف أو التوثيق الصحافي ، مقترباً من الوجع والأمل والإيحـــاء والخيال والحلم .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

3. طهارة الصمت : [19]

مجموعة نصوص ومقالات نثريّة تبرز هموم الثقافة الوطنية في فلســـطين مـــع وعـــي للمرحلة الراهنة ، وما يواجه المثقفين من هموم .

---

[17] – صدرت الطبعة الأولى منه عن منشورات بيت المقدس ، القدس ، فلسطين . 2001 م .

[18] – صدرت الطبعة الأولى منه عن الزاهرة للنشر والتوزيع ، بيت الشعر ، رام الله . 2001 م .

[19] صدرت الطبعة الأولى منه عن الزاهرة للنشر والتوزيع ، بيت الشعر ، رام الله . 2001م .

الباب الأول

ويشتمل على الأفصل التالية

الفصل الأول : الوطن والثورة في شعر المتوكل

الفصل الثاني : السجن في شعر المتوكل

الفصل الثالث : المرأة في شعر المتوكل

محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
رسائل الجامعية

الوطن والثورة في شعر المتوكل طه

وفيه المباحث الآتية :

أولاً : الوطن ، وفيه :

1- الأرض والهوية .

2- موقف الشاعر من مسيرة التسوية

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

3- النقد السياسي

ثانياً : الثورة

1- صورة المواجهة

2- صورة الشهيد

الأرض والهويّة:

ظل الهمّ الوطني يحظى بالاهتمام الأكبر ، والحيّز الأهمّ في الأدب الفلسطيني شعره ونثره ، وانتشرت خريطة الوطن وأبعاده في القصيدة فلم تغب صورته عن الصّدارة .

ويحمل الشعر الفلسطيني منذ بداية الانتداب المسألة الوطنية بوصفها قضيته الأساسّية والوحيدة .[1]

كما أن الوعي السياسي الذي طاوع الشعر الفلسطيني في مراحل تطوره هو وعي الأرض ، بوصفها امتداد الإنسان في المكان ، ووعي الإنسان لنفسه بوصفه امتداداً لها في الزمن .[2]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد بدأ الوطن بالتحول إلى مفهوم ، حيث كان يشكل لدى شعراء ما قبل النكبة ميدان الصراع ، فالشعراء الذين عاشوا في الوطن لم يكونوا غائبين عن الصراع ، في حين أن الشعراء الفلسطينيين خارج الوطن عبّروا عن الحنين أكثر مما كان انعكاس الصراع يُشكل لديهم مفهوماً عن الوطن .

---

(1) – ينظر : خوري ، إلياس ، الذاكرة المفقودة ، ط1 ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1982 ، 229 .

(2) – ينظر : نفسه 231 .

لقد قاوم الشّعر الفلسطيني وعبّر عن القضايا المركزية للوطن ومتطلبات الانتمـــاء إليـــه ومحاولة تغيير هويته أو تزويرها، واستنصر الشّعر الفلسطيني كل القوى الكامنة في الناس علـــى الأبعاد كافة من خلال بوادر الضياع ، واستكشاف المستقبل واستشرافه .

يشير الشاعر إلى أبعاد الهوية الإسلامية الفلسطينية للوطن من خـــلال صـــورة مقدســـة استطاع أن ينفذ منها الشاعر موظفاً أقدس مفاتيحه ، قداسة الأرض والبعد التـــاريخي والعمـــق الديني الذي يجعل التضحية في مستوى المضحى من أجلـــهم ، قائلاً :[3]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة نداء الأرض للقدس
مركز ايداع الرسائل الجامعية

نحن من لبّى نداء الأرض للقدس

وأعطى دمه حرّاً لأرض الأنبياء

وكتبنا يا فلسطين ارفعي الرايات نصراً

واجعلينا في كتاب المجد جنداً أوفياء .

المفارقة التي قام عليها عمق الانتماء لأبعاد هذه الهوية تتجسد من خلال الجمع بين بـــذل الدم ، والاختيار الطوعي بوصفه (حرّاً) مما يجعل التضحية شقاءً في ظاهرها الخارجيّ وهنـــاء في عمقها لأنها الخيار المتفق مع الانتماء للوطن والدفاع عن هويته .

---

[3] – طه المتوكل ، أو كما قال ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، دار الفارس ،عمان ، 1999 ، 23 .

تبقى القدس بمدلولات المكان مدخلاً موقفاً تمثل نظرة الماضي للحاضر وهي مجال استثمار شعري .[4]

إن التركيز على البعد الديني للأرض يكسب الوطن مفاهيم وأبعاداً متجذرة في وجدان أوسع ، خاصة وأن البعد الديني كان الوسيلة الأنجح في مقاومة مخططات التهويد والتمزق السياسي و ترهلات المستقبل القاتم . [5]

البعد الآخر الداعم لدلالات (المكان) يكمن في توظيف الشاعر لأشياء أخرى يستنطقهاو تتشابك مع العمق الأول من خلال علاقتين إحداهما تاريخية والثانية دينيّة ، فجذور الشّجرة في أرض فلسطين تتحد مع الجذور التاريخية والدينية للأرض .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والشجرة قيمة من قيم الأرض تستطيع شحن النضال الفلسطيني بأبعادها السياسية ، وهذه القيم تصبح حاجزاً اجتماعياً كثيفاً في مواجهة الغزو الخارجي ، وتساهم في صياغة معادلة الصراع بشكل مركزي .[6]

تتضح ملامح تلك العلاقة من قول الشاعر في تصويره لبلدة (بيرزيت) :[7]

كانت وما زالت كزيتون الجبل

---

(4) – يُنظر: مواسي ، فاروق ، القدس في الشعر الفلسطيني الحديث ، مؤسسة المواكب ، الناصرة 1996، 20.

(5) – ينظر : اسماعيل ، عبد الله ، قراءة في الأدب الفلسطيني الحديث والمعاصر ، مجلة الفجر الأدبي ، ع 32 ، أيار 1983 ، 38 .

(6) – ينظر : خوري ، الياس ، الذاكرة المفقودة ، 248 .

(7) – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، دار العودة ، القدس ، 1987 ، 19 .

خضراء ، ثابتة الجذور

تسقي الزنود السمر بسمات الأمل

في طحن هاتيك الصّخور

يمتد الوطن في قصائد الشاعر بتناسق بين المدينة والقرية والمخيم ، ويبدو أنّ لكل منـــها في شعره دلالات تدعم أركان الهوية وحقيقة الانتماء، وتتشابك تلك المدلولات لتتصهر في بوتقــة الصورة المركزية للوطن .

فمثلت المدينة أولية الصراع الديموغرافي بجماهيريّتها ، وكونها القلعـــة المنيعـــة علـــى العدّو ذات الإمكانات الثقافية والسياسية للمواجهة بكل أولوياتها ، وبقيت القريـــة تمثـــل العمـــق التاريخي من خلال قيم الفلاح كالتزاوج بالأرض والتراب الوطني .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وما غاب المخيم عن الامتداد في أجزاء القصيدة ليبقى شاهداً تراجيدياً على التزوير مـــن خلال إخلاء الأرض من أبنائها وتشريدهم في المنافي بطفولة المخيم المعذبـــة الشـــاهدة علـــى العدوان . "وقد حصرت صور الحنين والوحشة والثورة والقبول الممض للماضي ؛ وهي تلعـــب دورها الدرامي وتبلغ النهاية الحاسمة مما يؤدي إلى الإحساس بالدائرة المفرغة المحصورة التـــي لا مهرب منها ". [8]

[8] – دوو، إليرايت ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، مكتبة فبة ، بيروت 1961 ، 188.

فالمدينة امتداد الإنسان المبعد عنها قسراً ، هي (نابلس) التي وصف الشاعر اتحادها مـــع أبنائها المبعدين ليتطوّر مفهوم الوطن إلى الإنسان ، يقول:[9]

ما أجملك

.....

خلّة العامود والمخفيّة

والدّوار ، حوش المسك

.....

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والأسواق والأبواب والخان العتيق

وكل أشجار الحدائق والصخور

وأنت تحملها معكْ

هل أبعدوك

وكل هذه الأرض تحملها معكْ ؟

---

[9] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، ط ١ ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، 1988 ، 73 – 74 .

يصور الشاعر تلك الممارسة من العلاقة بين أشياء القرية والوطن بعامـــة مـــع معـــالم الهوية الحقيقية للوطن من خلال مقطوعة يقول فيها :[13]

وكنتَ إذا لمستَ الأرض كانتْ تطلق البسمة

وأما الآن قد صودرت

ملكاً صرتِ للدولة؟؟

"محررة"

وها هم علقّوا :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة [illegible]
"حذّر، دخول الأرض ممنوع
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وحتى للغيوم وأرجل النملة.

يعتري هذه المقطوعة ضعف ناتج عن المباشرة في شقها الثاني بعد رمزيّتها في الأول.

فاندماج الفلسطيني مع الأرض ومبادلتها له هذا الاندماج فيها إيحاء مؤثر عن رقةالعلاقة وتجذرها .

[13] – طه ، المتوكل مواسم الموت والحياة ، 91 – 92 .

حينما استخدم الشاعر لفظه (أما الآن) فقد مهّد من خلالها وهيّأ الجوّ إلى النقيض المضاد ، دخول مباشر لم يخدم إيحائية النص بدقة ، لكنه في الوقت نفسه لم يسلبها عنصر المفارقة بين الطبيعة العادية ونقيضها .

وتسلل الشاعر إلى نسيج الشخصية الأخرى ليرسم صورة تعكس إنهزاماً في العلاقة الجدلية بين المغتصب والأرض المحتلة ، وعاد الشاعر إلى إشراك أشياء الطبيعة من غيوم ورمل وطيور في تفسير الضغط الذي يمارسه المغتصب ضد الأرض لتعترف به .

"هنا تصبح الأرض شاهداً على ضرورات البقاء والصمود فالشجر والبيت والطبيعة هي المداخل الأساسية التي ينطلق منها هذا الشعر".[14]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن أدل المقطوعات الشعرية لدى الشاعر على هذه القضية ، المقطوعة التي تناول فيها الشاعر (يوم الأرض ، إذ يقول :[15]

ما بالك تبكي ؟

وزفافك في يوم الأرض

يتوج أعراس الفرسان شمال القلب ؟

ما بالك ؟

---

[14] – خوري ، إلياس ، الذاكرة المفقودة ، 251 .

[15] – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 113 .

يوم الأرض خالدٌ في سجّل التاريخ الفلسطيني المعاصر ، حيث استشهد ستة من أبناء الجليل والمثلث فضلاً عن عشرات الجرحى في الثلاثين من آذار عام 1976.[16]

وفي هذه المقطوعة تكثيفٌ لدلالة اللفظ ، حيث منح الشاعر لفظة (الموت) إيحاءات رمزية من خلال اعتبار الاستشهاد عرساً ، ومع أن الموت حقيقة لا تتغير لكنها قد تصبح سلمية رائعة أحياناً .[17]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تلك صورة للعلاقة التي ترتبط الإنسان بوطنه مستوحاة من علاقة الرجل بزوجه والإطار العام يدور حول مهر غالٍ يقدمه الطرف الأول للثاني ؛ فالموت والتضحية بأشكالهما كافة ترسمان درجة ذلك الرباط المقدس مع الوطن .

أما أُمنيات الوطن وآماله فلا تخرج عن إطارها الإنساني ، وعمقها البشريّ المتوحد مع الاتجاه الطبيعي للإنسانية في أرجاء المعمورة .

ترجمة هذه الأحاسيس تعد جزءاً بالغ الأثر في مفردات الخطاب الفلسطيني المعبر عن مكنونات الإنسان الفلسطيني نحو وطنه المحروم ، ويلخص الشاعر ذلك الأمل بقوله :[18]

---

(16) — ينظر : موجز تاريخ فلسطين (لمجموعة من الباحثين) ، اللجنة الوطنية لإحياء ذكرى النكبة ، 78 .

(17) — ينظر : درويش ، البرابت ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، 149 .

قلت : إني مثل باقي الخلق ...

ما أرجوه أن أحيا كطير – في بلاد الله–

حرّ يتغنى

وأنام الليل من دون جنود

والأسلوب المباشر هنا يمثل بدايات التجربة الشعرية للمتوكل طه ، الـــذي نشـــتم عنـــده نزعة لسعادة العالم والإنسانية بعامة ، وهذا جزء هام من مفردات إجـــلاء الصـــورة الإنســـانية للوطن . "إنّ الإنسانية بمعناها الشامل هي الوطنية الكبرى ". [19]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتمثل هذه النزعة أسلوباً من أساليب تصوير القضية الوطنية ونقلها من خلال الخطـــاب الشعري بقاسم مشترك هو العلائق الإنسانية ، وهذه الطريقة فيها تكثيف لآلية العرض من خـــلال القصيدة .

2- موقف الشاعر من مسيرة التسوية :

إنّ موقف الشاعر من مسيرة التسوية للصراع مع الصهاينة يُعدُّ جزءاً هامّاً مـــن الـــهمّ الوطني عنده ، لأنّ مسيرة التسوية تشكل مفصلاً أو منعطفاً تاريخياً خطيراً جـــداً فـــي تـــاريخ

---

[18] – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 174 – 175 .

[19] – ملحس ، ثريا عبد الفتاح ، القيم الروحية في الشعر العربي ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 313 .

القضية والصراع . كان (مؤتمر مَدريد) للسلام في المنطقة الذي عقد نهاية العـــام 1991 يمثـــل اعترافاً بالآخر لأول مرّة اعترافاً بوجوده الشرعي كدولة على تراب فلسطين المحتلة 1948.[20]

على الرغم من أنه يمثل الصدمة المؤلمة ، إلا أنه مثل لكثير من أبناء الشـــعب العربـــي بعامة والفلسطيني بخاصة خيطاً ضوئياً ، فرحوا به وعقدوا عليه الآمال والأحلام .[21]

سبق الشاعر الإعلان عن أي مؤتمر للسلام أو أي اتفاقية بالإعلان الصريح عن جنوحـــه لفكرة السلام كحل لا بديل عنه في مرحلة ما من مراحل الصراع (الأنا) مع (الآخر) ، كان ذلـــك في ملحمته الشعرية (فضاء الأغنيات) التي كتبها الشّاعر بعد تجربة أليمة مع الاعتقـــال الإداري في معتقل النقب الصحراوي ، يقول الشاعر:[22]

جميع الحقوق محفوظة
الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونسعى أيها الجنديّ أن نحيا بلا دمعٍ

بلا أحزان ...

نحبُّ صغاركمْ

ونحبّ أن يمضوا مع الأطفال في بلدي

إلى نبع السّلام الزاخر الفوّاح بإطمئنان .

فارجع أيها الجنديّ يا من شوهتك مبادئ الطغيان

---

(20) – من مقابلتي مع (أحمد رفيق عوض)

(21) – ينظر : طوقان ، فدوى ، الرحلة الأصعب ، ط ع 1 ، دار الشروق ، عمان ، 1993 ، 171 .

ارجع كي نطرّز عمرنا الباقي بأغنية السلام العذب

ارجع كي تمد يديك كالأحباب

حين تعانق الأحباب

هناك بعض الإشارات تتعلق بهذه المقطوعة :

أولاً : أن هذه المقطوعة من قصيدة كتبها الشاعر قبل انطلاق مسيرة التسوية في الشـوق الأوسط .

ثانياً: تزخر هذه القصيدة الشعرية بتعدد المخاطب فيها ، وكان الجندي الإسرائيلي أحـد اتجاهات خطاب المتوكل طه الشعري.

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثاً : أن مفهوم السلام المطروح في هذه القصيدة سلام بالمفـهوم الإنسـاني العـادي ، وليس سلاماً قائماً على المعايير السياسية التي طرحت فيما بعد .

رابعاً : أن الشاعر اتخذ من الطفولة مدخلاً لخطاب التعايش والوئام دلالة علـى البعـد الإنساني لطرحه .

ولا أستطيع أن أعدّ هذا الإعلان موقفاً من الشاعر تجاه مسيرة التسوية لأنّها خلت مـن كل الطروحات سوى النزعة الإنسانية نحو السعادة ، سعادة العالم دون تعصب. [23]

---

[22] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، ط1 ، دار الكاتب ، القدس ، 1989 ، 57 – 58 .

[23] – ينظر : ملحس ، ثريا عبد الفتاح ، القيم الروحية في الشعر العربي ، 313 .

وتظل هذه المشاعر جزءاً من إنسانية الإنسان الذي يعاني أزمة الحياة بما فيها من خـــر وشر ، وورد وشوك وأمل ويأس ، ونور وظلمة وسرور وحزن . [24]

ويحاول الشاعر الدخول إلى أعماق هذه النفس ، الجندي المحتلّ ، الذي عـــدّه بعـض الأدباء ضحية للصهيونية ، وأنّ بداخله إنساناً ضلّل في المجيء إلى فلسطين فقتل غـــيره علـــى غير إرادة أو نية مُسبّقة لفعل هذا .[25]

لا يمكن أن تنتزع من هذه المقطوعة اعترافاً شرعياً بالآ×ر علـــى تـــراب (الأنـــا) لأن الشاعر دعاهم إلى الجنح نحو السلام (في بلدي) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهذا التداخل المتشابك بين المشاعر المختلطة تفسر ما ذهب إليه (شوقي ضيـــف) مـــن أنها لا تخرج عن إطار الطبيعة الإنسانية المتأرجحة بين الأمل واليأس ...

في مقطوعة أخرى تتبع أهميتها من كونها كُتبت بعد أول مؤتمر للتسوية ، يتطوّر مفـهوم السلام من مجرد طرح إنساني يستجيب للنفس البشرية إلى طرح سياسي يرتكز علـــى مقومـــات تميز السلام الخبيث من الطيب وتترابط فيها معطيات الفكر الفلسطيني نحـــو الســـلام أو تســـوية القضية وذلك من خلال عودة الشاعر إلى استلهام البعد الديني والعمق التاريخي في قوله: [26]

إني أريد السلام ولكن

---

(24) — ينظر : ضيف ، شوقي ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط6 ، دار المعارف ، مصر 1959 ، 105 .

(25) — ينظر : الأسطة ، عادل ، اليهود في الأدب الفلسطيني . ط1 ، اتحاد الكُتّاب 1992 ، 102 .

سلاماً يعيد إلى القدس مهرتها الواجفة

إني أريد السلام ولكن

سلاماً يعيد لأمتنا قدسها الكاسفة

سلامٌ بدون السلام ، سلامٌ عليه

وتبقى الكوابيس والعاصفة

فتظل القدس تشكل موضوعاً في الشعر العربي الحديث ، لتكون منطلقاً خصباً للخطاب الشعري.[27] . ومقومات الطرح الشعري واضحة المعالم بعيدة عن الإغماض الذي يكنف المقطوعة السابقة وتعود القدس بثقلها الديني والتاريخي والروحي لتجذّر الموقف عن (المتوكل طه) الذي جمع بين شكلين متشابهين في الإطار ، مختلفين في المضمون والفحوى والحقيقة للسلام .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بدأت إرهاصات التشاؤم كتطّور جديد لمفهوم السّلام عند (المتوكل طه) في مقطوعة شعرية تمثل الوصول إلى ما يسمى (خيبة النهايات)[28] ، يقول الشاعر :[29]

ويقتلني أنّ ما كان مسخاً

---

(26) – طه ، المتوكل ، رعوة السؤال ، 20-21 .

(27) – ينظر : مواسي ، فاروق ، القدس في الشعر الفلسطيني الحديث (للاستزادة في هذا الموضوع).

(28) – يُنظر : الأسطة ، عادل ، أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات ، ط1 ، وزارة الثقافة الفلسطينية 1998 ، 147 .

(29) – طه ، المتوكل ، رعوة السؤال ، 18 .

يصير مُنى قصتي السّالفة

فيرى الشاعر في فكرة (الحكم الذاتي) حلاً مسخاً لا يلبي طموحات شعبه وأمانيه.[30]

وتلك المفارقة بين الحالتين تقيم شبكة من التساؤلات التي أدّت إلى هذه الخيبة مّما آل إليه الموقف .

إن عودة الموقف إلى الوراء تحت سُلّم التضحيات ، ودون مستوى الدّم الفلسطيني وتضحياته مسخ دعائم الطرح الذي صار أُمنية بعد لقاءات الاعتراف المتبادل لاجتياز الماضي بكل ما فيه من تضحية وبذل ، وصمود ، ومواجهة ، وشعارات .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الماضي هو حالة (تفاؤل) ، الحاضر والمستقبل جزء من حالة (خيبة) . والخيبة أعمق من التشاؤم ، فلسفة الزمن تركيب عضوي في فهم معادلة الصراع ومآلها.

أحدث الاعتراف بالآخر انفجاراً لغوياً عند الشاعر ، ذلك الاعتراف الذي بذلنا من أجل عدم الوصول إليه قرناً من التضحية والدماء ، ذلك الاعتراف بشرعية الاغتصاب صدمة مؤلمة فجرت طاقات جيدة عند الشاعر [31]، يقول الشاعر :[32]

ارتفعي يا أعمدة الخيمة قبل سقوط القيد علينا

اتّسعي في حمأة هذا الموّال القبليّ

---

[30] – ينظر : الأسطة ، د. عادل ، أدب المقاومة ، 149 .

[31] – من مقابلتي مع (أحمد رفيق عوض) بتاريخ 2000/11/20 .

وغنيّ لسموم الصيف القادم ، غنيّ للرّمل الناشف

ينداح بحلقي أو حقلي واتّسعي لدموع الثكلى

وجراح الجرحى

اتّسعي لوضوح الشهداء وضوء الفقراء

اتسعي حتى لا يسقط تاريخ الأقصى خلف الأقصى

أو حتى نعقد صلح الشجعان المنفرد مع الجيران

وننسى القتلى ونبشر أجداث الموتى أنا نأسف

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فيرى أن ما جرى من اتفاقيات ليس إلا تكريساً للاحتلال ، وموافقة على ضياع الثوابت ودماء الشهداء وأنات الجرحى الذين قضوا دفاعاً عن الوطن ضد المحتل. [33]

تمثل هذه المقطوعة استمراراً لنغمة الرفض التي تقوم على ما يسميه الأستاذ (عادل الأسطة) ثنائية الشهيد والمفاوض ، الجدار والوفد ، الصمود الانهيار ، فالبيع .[34]

وتختلط في المقطوعة السابقة سوداوية الليل وغموضه مع فكرة (صلح الشجعان) حيث ينشد الشاعر فصل الثنائية المركبة على النقائض بين الشجاعة والانهيار ، ولعل الشاعر يسعى إلى إيجاد المسميات لأشيائها لا لما يناقضها .

---

[32] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة . ط1 ، اتحاد الكتاب ، القدس ، 1995 ، 18 .

[33] – ينظر : أبو عمشه ، د. عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، مجلة أبحاث النجاح م 3 ، عدد 1995/9 ، 215

ومما يكسب هذه القصيدة أهمية خاصة أنها كتبت قبل توقيع اتفاق (أُوسلو) بأيام قليلـــة ، ذلك الاتفاق الذي تمّ توقيعه بتاريخ "1993/9/13".[35]

هكذا يتطور موقف الشاعر من التسوية السلمية ، فيلجأ إلى أُسلوب السخرية والاســتهزاء بعد استخدام أسلوب الثنائية لتصب كلها في حقيقة موقف الشاعر من السلام الذي تم التوصل إليه ، وهو يقول مخاطباً الشهداء :[36]

فاعتذروا يا شهداء

اعتذروا للإخوة والسلطات

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

عقدنا صلح الشجعان الفردي

فموتوا غيظاً لن يصبح أحدٌ منكم

جنرالاً أو مسؤولاً في غزة وأريحا

ينسق الشاعر بين الحالات لينجلي الموقف أكثر ، وتتضح الصورة بشكل أكبر بين حلـــم الخنادق والمصير الأخير في الفنادق .

يدعم الشاعر موقفه الرافض لهذه الاتفاقات بعدة أوصاف تجعله حلاً مسخاً تبدأ بخطيئـــة الشهداء بحسب المفهوم الجديد للسلام ، وفردية هذا الاتفاق وتجريـــده مـــن العمـــق العربـــي أو

---

(34) – ينظر : الأسطة ، د. عادل ، أدب المقاومة ، 150 .

(35) – ينظر : عباس ، محمود ، طريق أوسلو . ط1 ، شركة المطبوعات ، بيروت . 1994 ، 196 .

الإسلامي تتصاعد تلك النغمة في التشاؤم من مرحلة إلى أُخرى ، وما أريد الخـــلاص إليــه أن (المتوكل طه) لم ينتقل بالضبط من التفاؤل إلى الخيبة حول فكرة السلام ذاتها ، لكنها خيبة كبقيــة خيبات الشعراء ، خيبة الانتقال من خيار المقاومة والخندق إلى توقيع اتفاقات تصفيـــة الشـــهداء بكل ما يحمل دمهم من مدلولات وتأثيرات .

3- النقد السّياسي

يشكل النقد السّياسي جزءاً هاماً من الهم الوطني ، ومما يزيد الأمـــر أهميــة أنّ الــذي يمارس النقد السياسي هنا ، شاعرٌ عاش في داخل السلطة خاصة في أثناء فترة عمله فـــي وزارة الإعلام الفلسطينيّة .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ساعد الشاعر على تقوية ظاهرة النقد السياسي في شعره معرفته لتفاصيل التنـــاقض مـــا بين الشعار والتطبيق ، والمأمول والواقع ، والصورة المتخيلة والصورة الحقيقيّة ، فقـــد صُـــدم الشاعر عند الشاعر عند المقارنة بين عنف الثورة ووهجها وبين صناعة الدولة .[37]

عبّر الشاعر عن إرهاصات المستقبل قبيـــل مجـــيء الســـلطة الوطنيـــة الفلســـطينية ، واستكشف أبعاداً نحو القادم مستخدماً في ذلك غلافاً بلاغياً للمقطوعة جعلت ما تنبّأ به الشّـــاعر أكثر شؤماً حينما استخدم الشاعر لفظة (أُبشركم) . يقول الشاعر:[38]

---

[36] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 21.

[37] – مقابلتي مع أحمد رفيق عوض .

أبشركم بالدمار الجميل

بروما الجديدة

بالنحل يمتصّ روحي

ويحرقه الشّهد والفاجعة

فكابوس (مدريد) وما ترتب عليه من نتائج ما زال يقضّ مضاجعه لأنّ لديه إحساساً داخليـــاً عميقاً بأن أي حل سينجم عن هذا المؤتمر وما يليه من مؤتمرات سيفرض على الفلسطيني مزيـداً من التنازلات ستؤدي إلى مضاعفة الانقسام والتشرذم إلى حدّ الفناء.[39] يقول الشاعر :[40]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الإسكندرية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

قد يصدق القائلون : بأن المراحل تحتاج

دمعاً وسجناً وموتاً وقرن عذاب

ولكن أنا خائف يا أبي

أن يتم اعتقال الشهيد على الفور

أو أن يحاكم باسم التهوّر

أو أن يموت من القهر لما

يرى كلّ شيء خراباً خرابْ

---

(38) – طه ، المتوكل ، رعوة السؤال ، 25 .

(39) – ينظر ، أبو عمشه ، عادل ، دراسته في شعر المتوكل طه ، 217 .

وخيوط هذه المقطوعة ممدودات عبر قطبين متناقضين ، وتلك صورة سوداء لحقيقة ما آل إليه المصير السياسي بعد اتفاقات (أوسلو) .

يميل الشاعر في هذه الأسطر إلى أسلوب أكثر مباشرة في تقويض دعائم النظرية السياسية للطرف السياسي ، صانع القرار في الضفة الغربية وغزة .

تلك جدليّة بين الماضي الدمويّ الفدائي والحاضر السوداوي المغاير لقيم الثورة ذلك إغلاق للنفق السياسي المجهول الذي يوجه الشاعر نقده إليه ، إذاً يصبح الشهيد في العرف السياسي الجديد إرهابياً وهذا الحكم سيصدر على كل قيم الثورة ودعائمها .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هذا استمرار لأسلوب الثنائية بين الأشياء .

ظهر المسؤول في أشعار (المتوكل طه) بصورة قاتمة السواد . ممارسة للخداع والتضليل ، تأتي هنا استكمالاً لثنائية الشكل والمضمون ، الجسد والنفس ، يقول الشاعر في وصف علاقة المسؤول بالشعب :[41]

يحضن أطفالاً فقراء ويبكي

ويصلي يوم الجمعة من فرط الإيمان

ويزور الأطفال قضى الآباء

---

(40) – طه ، المتوكل ، رعوة السؤال ، 54 .

(41) – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 13 .

وظلوا شهداء ويحكي سيرتهم بالقرآن

وأخيراً يعطي الأمر إلى السجان

فيا سبحانَ

ويا سبحان ويا سبحان

مقومات النقد السياسي عند الشاعر تعتمد على عدة أساليب في تصوير الوضع الرّاهـــن ، وصورة الممارسة مجردة من مدلولاتها المفترضة وانتزاع البعد الإيجابي وقلب الصورة علـــى حقيقتها .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

من السخرية إلى التنائية إلى فتح المفارقة ، طرائق الشاعر في رســم صـــورة الســلطة السياسية للشعب الفلسطيني .

وتبدو صورة الحاكم عنده متشابهة إلى حدّ كبير مع صورة الحاكم لدى شعراء المقاومـــة والأمة جمعاء ، فمعظمهم يحتفظون بهذه الصورة للحاكم العربّي .[42]

وأشير هنا إلى أن الشاعر مارس عملية النقد السياسي بشكل واسع ومعمق مـــن خـــلال استلهام التراث التاريخي في المجموعات الشعرية الأخيرة وهذا ما سأتحدث عنه في الباب الثـلني من هذه الرسالة .

---

[42] – ينظر : عنيم ، كمال أحمد ، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر . ط1 ، مكتبة مدبولي مصر ، 1998 ، 97 .

ما أستطيع أن أخلص إليه هنا أن النقد السياسي الذي مارسه الشاعر يختلف عن الـــهجاء السياسي المقذع الذي مارسه بعض الشعراء من خلال اعتمادهم على الشتائم والسبّاب والصـــور المستمدة من نسيج لغوي قاموس مفرداته تدور ضمن هذا المحور .

معالم الهجاء السياسي تختلف عما ألمسه عند الشاعر هنا وهو النقد السياسي ، لأن النقـد هو الذي يكون مدعوماً بالمعطيات التي دفعت الشاعر إلى هذا التصوير .

ثانياً – الثورة الفلسطينية في شعر (المتوكل طه) ٥٨٠٨٤٥

1- صورة المواجهة

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بدأت تطلعات الإنسان نحو مستقبل أفضل وحياة فضلى منذ عصور قديمة حين اســتطاع أن يعي واقعه المتخلف والإطار المحدود الذي يتحرك فيه وقدرة الكشـــف والريـــادة والتطـــور والنضال المستمر نحو الأحسن والأفضل ، وبدأ الصراع مريراً وطويلاً بين الإنســـان الواعـــي الذي يريد أن يحمل العبء ويكون لائقاً بإنسانيته وبين القوى التي تعمل على استعباده.[43]

دام الصراع عهوداً وظل الطوق محكماً ، وكانت عوامل الخير والعطاء والتطور تفرض نفسها على العقول النيرة ، وبقيت وقوداً لا تخبو معه إرادة الرفض لكل أنواع الاستعباد. [44]

---

[43] – ينظر : الخياط ، حلال ، الشعر والثورة ، منشورات وزارة الإعلام العراقية . 1975 ، 5 .

[44] – المرجع نفسه ، 5 .

وبدت صورة الثورة الفلسطينية ومظـــاهر المواجهـــة وأدوات المقاومـــة فـــي الشـــعر الفلسطيني الحديث والمعاصر ؛ فقد صور الشعر الفلسطيني ثلاث مراحل لثوراتـــه بـــدءاً مـــن مواجهة الاحتلال البريطاني والمهاجر الصّهيونيّ والتحريض على الثورة ضده ، ومرحلة ما بيـن النكبتين 1948 1967 ، انتهاء بمرحلة الشعر المقاوم المتمســـك بـــالأرض المتشـــبث بالهويـــة الوطنية المتغني بالبطولة مرتقباً الغد المشرق. [45]

لقد ارتبط الأديب بمشكلات الحياة الواقعة حيث أدرك خطورة الدور الـــذي يقـــوم بـــه الأديب إزاء هذه المشكلات ، والشاعر الحق في رأي الأستاذ (عز الدين إســـماعيل) لا يســـتطيع أن يعيش بضميرين ، ضمير مع نفسه وضمير مع الناس وإنما يواجه نفسه ومجتمعـــه بضمـــير واحد ؛ لأنه سرعان ما يحس أن مشكلاته الخاصة لا تنفصل عن مشكلات النـــاس ، بـــل إنـــه لحري به أن يدرك أن مشكلات الناس هي المحور الحقيقي لكل معاناته .[46]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

من هنا نجد الشاعر (المتوكل طه) قد صوّر انتفاضات الشعب الفلســـطيني فـــي الأرض المحتلة حتى أنك حينما تقرأ في ديوانه الذي صدر قبيـــل انتفاضـــة 1987 م (مواســـم المـــوت

---

(45) – ينظر : اسماعيل ، عبد الله ، قراءة في الأدب الفلسطيني الحديث والمعاصر ، مجلة الفجر الأدبي ، 39 – 40 .

(46) – ينظر : إسماعيل ، عز الدين ، الشعر في إطار العصر الثوري ، ط2 ، دار الحداثة ، 1985/10/11 .

والحياة) من دون الالتفات إلى تأريخ صدوره تحسبه من الدواوين التـــي صـــدرت فـــي أثنـــاء الانتفاضة ؛ فألفاظه وموضوعاته وعناوناته مرتبطة بالانتفاضة ،[47] يقول الشاعر :[48]

(بيرزيت) تخرج للشوارع والحقول

فهي المخيم والمزارع

فتيانها الزهرات نوارٌ إلى الدنيا يقول

أبداً سنبقى في شوارعها نصارع

وقد استطاع الشاعر أن يُعبر عن إرهاصات الانتفاضة القادمة وأن يستشف ما حدث فـــي شوارع الوطن من مواجهات دامية .[49]

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بعد ذلك انفجر المرجل في أواخر عام 1987 م ، ليعلن عن ولادة ظاهرة نبيلة في زمـــن التقهقر العربي ، تبذر في رحم الأرض طاقات لا حصر لها .

انتفاضة شعبية خلخلت أسس الاحتلال الإسرائيلي في صحوة كبيرة كما نسفت إمكانيـــــة الاستمرار في فرض الأمر الواقع (الاحتلال إلى الأبد) وقد أوجدت مصادر قوة وخلقت أســـلحة من الطبيعة (الحجر) لمواجهة ترسانة الأسلحة الإسرائيلية.[50]

---

[47] – ينظر : أبو عمشة عادل ، دراسته في شعر المتوكل طه ، 201.

[48] طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 20 .

[49] – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 201 .

[50] – ينظر : نفســـه ، نقلاً عن (عبد الجـــواد صالـــح) حول مهمات المرحلة القادمة (الآداب الناصرة) العددان 1 ، 2. السنة الثالثة 1989 ، 28 .

لم يكن معظم الشعراء لينعزلوا أو يتأخّروا عن هذا الزخم الشـــعبي الدافــق إذ حولــوا قصائدهم إلى خيول امتطوا صهواتها وصاغوا من غضبهم قوة لدفع المسيرة .

هذا الصنف من الشعراء هو الذي خاض تجربة الانتفاضة وعاشوا دقائقها ومضايقـــات الاحتلال فيها وحملوا همومها .[51]

يقول الشاعر في ملحمته الطويلة (فضاء الأغنيات) :[52]

وتجملت أيامنا برصاص وحشٍ طائشٍ

وازدانت الجبهات بالجرح السّخي

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولم تزل في كل يوم

تستجيب لنا المدائن والقباب

وتفجّر الشريان فاض غلى

تعالى واستشاط

ومارت الطرقات بالنيران

زلزلت الشوارع تحت أقدام الغزاة .

---

(51) – المصدر نفسه ، 202 .

(52) – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 14-15 .

فالجمال لم يعد مصطلحاً تقليدياً يستوعب الألوان والأزهـــار ، لكنـــه جمـــال يصنعـــه رصاص المتوحشين ، وتلك صورة الجمال الذي تصنعه الثورة ، أما النوع الآخر مـــن الجمـــال فهو الذي يصنعه الجرح بالدم ويسمى (الزّينة) ، أي الجمال المكتسب مـــن الإمكانـــات الشـــعبيّة التقليديّة .

الإشارة كذلك إلى جماهيرية هذه الانتفاضة وشعبيّتها ، والغليان الملتهب الذي يصـــاحب هذا الزخم الشعبي والمدّ الجماهيري اللاهب .

صورة مكتظة بالإشارات ذوات الدلالة على شعبية الانتفاضة وصخبـــها ممـــا يعطـــي الصورة زخماً متواصلاً كالنشيد الجماعي .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يلجأ الشاعر في القصيدة ذاتها إلى أسلوب (التحريض) لأنـــه يكتـــب بإحســـاس مكثـــف بالآخرين ، مهمة أساسية للشعر المقاتل أن يحرض الجماهير والمقاتلين مـــن خـــلال الاســـتعانة بالمناسبات والأحداث والأدوات الفنية . [53]

وحينما تقرأ بقية القصيدة تجد إشارة أُخرى إلى جماهيرية الانتفاضة فقد أشـــار الشـــاعر إلى اشتراك الأسرة الفلسطينية كلها في الثورة الشعبية من الشيخ إلى الطفل الذي ظل لـــه تـــأثير كبير على أقلام الشعراء فارتبطت صورته بالحجر .[54] ويقول الشاعر :[55]

---

[53] – ينظر : أبو نضال ، نربه ، الشعر الفلسطيني المقاتل ، 100 .

[54] – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، شعر الانتفاضة ، ط1 ، اتحاد الكتاب ، القدس ، 1991 ، 29 .

أعطني يدك الحلم

حتى أرى وردة النصر

تنبت في خوذة الاحتلال

أعطني شهقة الشفتين

لأثر هذا الفضاء بشمس النشيد

وشهد الرجال

أعطني قدماً ثابتاً في الطريق

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة جامعة الأزهر
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لأزرع هذي الشوارع غابات عشق

وغيم احتفال

الفعل والإنجاز ، غزارة الإنجاز حافز الفعل ، مكونات الشعور بنشوة النصر في ميـــدان الثورة ، شبكة مترابطة ، علاقات أبجدية تؤكد أن لكل فعل إنجازاً ؛ ومفهوم الموت يتطور فـــي خندق الثورة ، وإقلاع عن الصورة التراجيدية وانتقال إلى روعته ومقدرته في إخراج الأشـــياء من جديد إلى ذروتها .

---

[55] — طه ، التوكل ، رغوة السؤال ، 69 – 70 .

"ويدرك (المتوكل طه) أن القوة وحدها هي التي ستدفع عجلة الحرية إلـــى الأمـــام وأن العمل الجماعي هو المنهاج السديد لبناء الوطن ؛ لأن الفردية تقود إلى الإخفاق .[56]

وهنالك جانب هام من مكملات صورة الثورة عند (المتوكل طه) هي صورة الانتـــهازيين والوصوليّين الذي يحاولون جني ثمار الشهداء والجرحى والأسرى والمبعدين .

ويحدد الشاعر للقيادة الفلسطينية معالم الصف الثائر من أجل الهدف الأسمى ، كاشفاً عـن طائفة من التجار الذين يكيدون للثورةالمكائد ، يقول الشاعر :[57]

أنت محاصر بالنار والأسوار

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حولك إخوة أعداء

أمزجة وتجار

وألسنة ينضنض سُمُّها حولك

فلا تأمن لهم تهلكْ

وصَدق كل من عانوا ومن جاعوا ومن ماتوا

ومن ظلّلوا برغم الثلج في الخندق

همو أهلك ، فلا تهلك .

---

(56) – طه ، المتوكل وزميلة ، الثقافة والانتفاضة ، ط1 ، اتحاد الكتاب ، القدس 1991 ، 62 .

(57) – طه ، المتوكل ، قضاء الأعمياء ، 117 – 118 .

ويستمر الشاعر في طرح خيار المقاومة والجهاد بدلا من استجداء المشاريع الســـلمية المطروحة التي لا تعدو كونها كذباً ، قائلاً : [58]

لن يأتوك إلاّ إنْ رأوا سَيفكْ

صورة الشهيد في شعر (المتوكل طه):

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الاستشهاد أسمى مراتب التضحية ، لأن الشهيد يضحي بأغلى ما يملك (الروح) مـــن هنا ظلت للشهيد صورته المقدسة وامتاز بخصائص توازي الأنبياء والمرسلين .[59]

ومما يجعل صورة الشهيد حية قوية الظهور في الشعور الوطني أن الشـــهيد يتصـــف أصلا بالحياة ، لقوله تعال :

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" .[60]

---

(58) – المصدر نفسه ، 118 .

(59) – لمزيد من الاستفادة ينظر : خالد ، حسن ، الشهيد في الإسلام .

وهذا تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله .[61]

ويظهر لنا أن صورة الشهيد لا تنفصل عن المقاومة والمواجهة (الثـــورة) فقـــد ظـــلّ الشهداء جسراً للعبور ومنارة أمل وهدفاً أسمى وضعه الثائرون نصـــب أعينـــهم وقـــد حشـــد الشاعر (المتوكل طه) قائمة كبيرة من أسماء أبر شهداء الثورة الفلسطينية[62] استمراراً لـــدور قصيدة الانتفاضة في التحريض والتنظير .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإذا ما انتقلنا إلى مقطوعات لصورة الشهيد في شعر (المتوكل طه) فســـنجد نمـــاذج تتعلق بالشهادة الجماعية وهي التي تعرف (المجازر والمذابح).

وكذلك الشهيد المقاتل ، والشهيد الذي تم اغتياله غدراً ، والمرأة الشهيدة .

نموذج الشهادة الجماعية تبدو في (ملجأ قانا) اللبناني حينما طاله قصف صهيوني فـــي عدوان 1996 المسمى (عناقيد الغضب) .

---

[60] – آل عمران (169) .

وأقسى ما في هذه المجزرة أن ضحاياها نساء وشيوخ وأطفال ، فهم سكان الملاجئ.

يصور الشاعر اختلاط اللحم ، وأن صدور الأمهات كالمغارة احتوت شظاياهم. يقـــول الشاعر :[63]

والصمت صمت في الملاجئ

جاءوا ! يقول ... كأنهم لم يسمعوا

فتناولتها أمها من فوق بطانية سوداء

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

ضمتها ، انحنت كالقوس حتى أدخلتها

في مغارة حضنها وبساعديها أغلقت

كل المنافذ نحوها

اقتربوا ! يقول ...

كأنهم لم يسمعوا

اقتربوا

---

[61] – النسفي ، عبد الله بن أحمد ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، مجلد 1 ، ط1 ، الكتب العلـــمية بيروت 1995 ، 217 .

[62] – ينظر : فضاء الأغنيات ، 123 .

حينما أغتيل (خليل الوزير) أبو جهاد[64] خاطب الشاعر (الرئيس عرفات) قائلا:[65]

يا ختيار يا جبار

قد ذبحوا أخاك خليل

قبل قليل

فاهتزت سماء الله والألواح

والأرضون .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ورأى الشاعر أن السماء اهتزت غضبا على استشهاد (أبي جهاد) ، فصـــور الشـــاعر ذلك الغضب من خلال النص القرآني الذي سيكون أحد موضوعات الفصل الرابع من البـــاب الثاني من هذه الرسالة ؛ فيقول [66]

---

(63) – المتوكل ، أو كما قال ، 57 .

(64) – أحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية اغتيل في تونس بتاريخ 16 نيسان 1988 من قبل إسرائيل .

(65) – طه ، المتوكل ، فضاء الأعنيات ، 125 .

(66) نفسه ، 126.

وقال الرب حين رأى الدماء تسيل

يا جبريل

لا تهبط إلى الأرض التي قتلوا الخليل بها

فسوف أحيلها عصفا

وأمطرها بطير تحمل الأحجار من سجيل

وهي تناص مع قوله تعالى في وصف العذاب الذي حل بأصحاب الفيل :"وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول". [67]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد أشار الأستاذ (عادل أبو عمشة) إلى أن حادثة أصحاب الفيل في شعر الانتفاضة وظفت للربط بين هلاك أصحاب الفيل وعودتهم مهزومين وبين العدو الذي يرتقب له المصير نفسه .[68]

لقد أدخل الشاعر كل المتآمرين على الشرفاء في قافلة أصحاب الفيل .

---

[67] – سورة الفيل ، 3-5 .

[68] – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، شعر الانتفاضة ، 36 .

وتلك اللفتة أو الإشارة إلى قطع العلاقة الكونية والدينية بين السماء والأرض تدل على كثافة الغضب الذي يشتعل لاستشهاد أبي جهاد .

ويصور الشاعر استشهاد المهندس يحيى عياش أنه لا يرتبط بالدنيا أو الحياة ارتباطا ماديا خالصا من الميلاد إلى الممات .

إنها صورة القيم المعنوية التي تحملها مسيرة الحياة لدى الشهيد ، ويصبغ الشاعر بعضا من الدفقات الشعورية اللهبة الممزوجة بالعلاقة بين الشهيد وأبنائه ، حيث استشهد المهندس [69] وفاء وانتماء ودفاعا عن جوع الأطفال المشردين من فلسطين ؛ يقول الشاعر على لسان الشهيد :[70]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

يا أيها الناس

عدت كما لم أمت من شظايا الجهاز

الذي حمل الأهل لي كل يوم وساعة ط

وكانت حروف صغيري وداعه

---

[69] – مهندس من فلسطين ، قائد الجناح العسكري لحركة (حماس) ، أغتيل في غزة بتاريخ 1996/1/6.

[70] – طه ، الموكل ، أو كما قال ، 52 .

ولم يذبح القلب في الصدر إلا اشتهاء وداعه

لكنها ساعتي حين حانت بغزة أعطيت من

فقراء المخيم ساعة !

ويظهر مدلول الموت بالنسبة لهؤلاء الشهداء – كما يصورهم الشاعر – بأن الموت هنا ليس إلا انتقاله إلى غرفة أخرى ، وإن كان خاتمة الحياة والوجود المادي وما هـــو معـــروف وقدرك فهو مفعم بمغزى هائل وهو حقيقة قد تصبح رائعة أحيانا وقيمة سامية .[71]

أما الشهيد (هادي نصر الله)[72] نجل الشيخ (القائد حسن نصر الله) الأمين العام لحـزب الله اللبناني ، فيصوره الشاعر بأنه يملك ما لا تملك ، ويربط الشاعر بين فوزين ساميين فـــي الدنيا والآخرة ، انتصار في الدنيا ، وجنة في الآخرة .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز إيداع الرسائل الجامعية

وتكتسب المقطوعة بعدها الديني لارتباط فكرة الاستشهاد والجزاء بالفكر الإســـلامي ؛ ويدفع الشاعر الذاكرة إلى استرجاع مخزونها حول مجزرة (قانا) كأن الشاعر يريد أن يصـــور ما يمكن من دوافع في نفس الشهيد جعلته يهاجم العدو دفاعا وثائرا ، يقول

من يملك مثلك سيف الأرض

---

[71] – ينظر : دور ، البرابيت ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، 149 .

وأنت تسير إلى الجنة

إنا نذكر وجه الله النوري

وقانا

والطائرة المجنونة

ومما يلحظ في المقطوعات التي صورت الشهيد هنا أن الشاعر يتكلم مرة بلسانه مثـــل (عياش) ، وأخرى بمخاطبته مثل (نصر الله) ؛ ومرة من خلال الحوار مثل (الوزير).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[72] – استشهد في أثناء تنفيذ عملية مسلحة ضد الكيان الصهيوني في الجنوب .

الفصل الثاني

السجن في شعر المتوكل طه

- **تمهيد : أدب السجون والمعتقلات في الأرض المحتلة .**

أولاً – أساليب قمعيّة في أثناء الاقتحام

ثانياً– حياة المعتقلين وصور معاناتهم

ثالثاً– الجانب الإيجابي في السجن وميلاد الأمل .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تمهيد :

أدب السجون والمعتقلات في الأرض المحتلة :

منذ أن قامت الثورة الفلسطينية ضد الاحتلال والسجن يشكل إحدى أدوات القمع والتنكيل والإرهاب الذي يلجأ إليه العدوّ أملاً في إحباط الثائرين وتصفيد المناضلين.

اقترنت صورة السجن ووحشيته بالثورات التي قامت ضد الانتداب البريطاني ، ثمّ الاحتلال الصهيوني .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن كان مصطلح (أدب السجون) حديث العهد في ميدان الدراسات الأدبية إلا أنّه يمكن تتبع نصوص شعرية فلسطينية في مراحل متقدمة من إرهاصات الثورة .

فهذا الأستاذ (خليل السكاكيني) يُساق إلى السجن سنة 1917 في الشام إبّان الحكم العثمانيّ [1]، ومما قال فيه من شعر:[2]

لا تراني إلا رأيت شجيّاً ... قلق الفكر دائم الوسواسِ

إن شوقي إلى ذويّ لشوقٌ ... علم الله ما له من قياسِ

---

[1] – الجوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات في فلسطين ، ط1 ، بيت الشعر الفلسطيني ، فلسطين ، 18 .

[2] – ياغي ، عبد الرحمن ، حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، منشورات المكتب التجاري ،د .ط ، بيروت / 170 – 171.

وكذلك الشيخ سعيد الكرمي الذي حُكم عليه بالإعدام ثم أُبدل به الحم بالسجن المؤبد ، نظراً لتقدمه في السنّ.

وفي ثورة 1936 م ضد الإنجليز ، اشتهرت قصيدة شعبيّة للثائر الفلسطيني (عوض) كانت مكتوبة على جدار زنزانته التي انتظر فيها موعده مع الإعدام ، ومنها قوله:[3]

يا ليل خلي الأسير تايكمل نواحو

رايح يفيق الفجر ويرفرف جناحو

تايمرجح المشنوق من هبّة رياحو

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي أعقاب الاحتلال الصهيوني لأجزاء كبيرة من فلسطين المحتلّة عام 1948 م برزت مجموعة من الأدباء والشعراء الذين صوّروا الحياة الاعتقالية في تلك المرحلة ووصفوا المعتقلات وحياتها ، والممارسات الصهيونية وكيفيّتها وردات الفعل الفلسطينيّة ومن أولئك : توفيق زياد ، وسالم جبران ، وسميح القاسم ، ومحمود درويش .

وبعد هزيمة 1967م ، شهدت المعتقلات حركة أدبيّة كبيرة كانت صدى لتلك الصدمة القاسية ، وتدرجت الحياة الاعتقالية إذ ذاك حتى تبلورت نواة حركة ثقافية وسط صعوبات جمة وإجراءات قمعية حتى أخذ مصطلح (أدب السجون) موقعاً في الدراسات الأدبية.[4]

---

[3] – جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات ، 19 .

[4] – ينظر ، نفسه ، 30 .

وعاش في السجون الصهيونية شعرا وأُدباء وكُتّـــاب مســـرح فلســـطينيّون وشـــاعرات وأديبات وكاتبات مسرح فلسطينيات .[5]

وظلت السلطات الصهيونية تحاذر من النتاج الأدبي الخارج من الزنزانة مهما كان شكله أو نوعه وكانت تشعر أن تحت كل حرف قنبلة وفي كل نقطة مدفعاً.[6]

ويتميز أدب السجون بأنه أكثر حرارة ، ويولد النص الأدبي فيها بعد مكـــابدة ومخـــاض شديدين في ظلمة (الباستيلات) .

ويمتزج شعر السجون في الأرض المحتلة بإيقاع حاد ، يُغلّفه الصدق والإصرار علـــى التغيير ، حينما يجد الأسير نفسه محاصراً داخل حيّز ضيّق ، مجرداً من الأدوات النضاليّة فـــلا يجد إلا الفنّ ملجأ للتعبير عن حاجات النفس .[7]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ساهمت الحركة الشعرية الفلسطينيّة في المعتقلات والسجون الصهيونية بدور إيجابي فعّال ؛ واحتلت مكانة متميزة في شعر المقاومة الفلسطينيّة حيث شـــكلت بـــؤرة إشـــعاع ثقـــافي تضيء الطريق أمام المناضل الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها.[8]

---

(5) – ينظر : الفاهوم ، وليد ، فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي ، ط1 ، دار الجليل ، عمان ، 1985 ، 173

(6) – ينظر ، نفسه ، 173 .

(7) – ينظر ، العَلم ، إبراهيم ، الأدب المعاصر في فلسطين ، مركز الدراسات التربوية ، القدس ، 97 .

(8) – ينظر : جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات في فلسطين ، 44 .

أما الشاعر (المتوكل طه) فقد اعتقل عدة مرات منها ثلاث مرات اعتقـــالاً إداريـــاً فـــي سجن النقب الصحراوي .

وقد أنتج الشاعر لنا مجموعتين شعريتين في النقب هما :

(زمن الصعود 1988) و (فضاء الأُغنيات 1989) ، حيث صوّر فيهما أموراً تبدأ مـــن لحظة اقتحام المنزل وتنتهي بأحاسيس اللقاء حين الإفراج .

وقد عبّر الشّاعر عن ثقته المطلقة بالأسرى والمعتقلين الذين يمثّلون في نظره جمهوريّـــة ، حاشداً في المقطوعة أسماء بعض من هذه المعتقلات ، إذ يقول:[9]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وعاش في السجون الصهيونية شعرا وأدباء وكُتّاب مسرح فلسطينيّون وشاعرات وأديبات وكاتبات مسرح فلسطينيات .[5]

وظلت السلطات الصهيونية تحاذر من النتاج الأدبي الخارج من الزنزانة مهما كان شكله أو نوعه وكانت تشعر أن تحت كل حرف قنبلة وفي كل نقطة مدفعاً.[6]

ويتميز أدب السجون بأنه أكثر حرارة ، ويولد النص الأدبي فيها بعد مكابدة ومخاض شديدين في ظلمة (الباستيلات) .

ويمتزج شعر السجون في الأرض المحتلة بإيقاع حاد ، يُغلّفه الصدق والإصرار على التغيير ، حينما يجد الأسير نفسه محاصراً داخل حيّز ضيق ، مجرداً من الأدوات النضاليّة فلا يجد إلا الفنّ ملجأ للتعبير عن حاجات النفس .[7]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ساهمت الحركة الشعرية الفلسطينيّة في المعتقلات والسجون الصهيونية بدور إيجابي فعّال ؛ واحتلت مكانة متميزة في شعر المقاومة الفلسطينيّة حيث شكلت بؤرة إشعاع ثقافي تضيء الطريق أمام المناضل الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها.[8]

---

[5] – ينظر : الفاهوم ، وليد ، فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي ، ط1 ، دار الخليل ، عمان ، 1985 ، 173

[6] – ينظر ، نفسه ، 173 .

[7] – ينظر ، العلّم ، إبراهيم ، الأدب المعاصر في فلسطين ، مركز الدراسات التربوية ، القدس ، 97 .

[8] – ينظر : جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات في فلسطين ، 44 .

الاقتحام نقطة التحوّل من مرحلة الحرّية إلى أنفاق مظلمة لا تبدو معالمها للوهلة الأولى ، ولعلّ الممارسات الإرهابيّة تلك وسيلة احتلاليّة قصدُها التأثير في نفسيّة المعتقل وهزّ معنويّاته قبل مرحلة المواجهة .

ينسج الشاعر خيوط صورة الاقتحام بدقّة بالغة رابطاً حركة المحتلين بالليل ، ويضفي سوداوية على هذه الممارسات ، وعنصر الحركة يبدو واضحاً جدّاً ؛ إذ يظهر من خلال صورتهم المرتبكة والمضطربة ، كتلٌ بشرية مجرّدة من المشاعر والشيم الإنسانيّة ، يظهرهم من خلال عنصر الحركة مهزومين نفسيّاً ، ثم يدخل الشاعر المكان الفلسطيني ليلعب دوره في رفض المحتل ، وإنكار وجوده ، يقول الشاعر :[10]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ينتشرون على أسطح العشب

تبرق بعض العيون وتصحو القلوب

اعتقال

.....

تمشي الهريرة تجفل أسلحة الرعب

تنهال نيرانهم للقتال !

---

[10] طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 99-101 .

لقد حسبوا هرة الحي جيشاً

فيا للجيوش ويا للنزال .

ثم يقابل الشاعر بين حالين ، حال القائد الصهيوني المرتبك ، المنـــهزم فـــي أعماقـــه ، وحال صاحب المنزل ؛ وهو في تفكيك الرمز (صاحب المكان الشرعي المطمئن) يواجههم بكـــل الهدوء والإتزان مع استغراب ودهشة ، وإدخال شيخ المنزل في الصورة مـــا هـــو إلا تصويـــر للمعاناة المشتركة التي كابدتها الأسرة الفلسطينية أمام هذه الفيالق من الجنود .

عنصر المقابلة بين الحالين هو صورة مصغرة لشبكة العلاقات المتوائمة بيـــن الإنســـان والمكان ، وجبهة الرفض التي تشكلها الأشياء ضد المحتل ، يقول الشاعر :[11]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تزداد حُمّى البنادق ، تكسر أبوابنا ..

يصرخون : افتحوا ..

يفتح الشيخ مزلاج بوابة البيت

ينظر مبتسماً بانذهال ..

ماذا تريدون ؟

إبعد .

---

(11) – طه ، المتوكل ، نفسه ، 101 .

ويدخل أولهم مسرعاً بانفعال

ويستغل الشاعر تلك المرحلة وصورتها ليعود إلى تجريد المحتل من مقوماتـــه ، وهـم عكس الطبيعـــة مخالفون للسنن الكونية التي تقضي أصلاً بعدم امتدادهم على نطاق هذا المكان.

إنهم في مقطوعة أخرى يحسبون كلّ صيحة عليهم ، وبهذا يكثّف الشاعر من عنصـــر الحركة ومدلولاتها ؛ لتفرغهم من أي محتوى أو قيمة .

وتكون الأدوات في المنزل جزءاً من خريطة الهوية الفلسطينية ، لذا فقد اتخـــذ الجنـود موقفاً إرهابياً أكثر دلالة على أزمة العلاقة المستحيلة بين أرض (الأنا) (الآخر) ، يقول الشـــاعر :[12]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يضرب بسطاره زاعقاً فيهم

يا كلاب ؛ أرى كتباً ها هنا

وهنا لوحة بين هذه النعال

ويأمرهم أن يلموا الدفاتر والرسمة التي مزقوها

وأقلام مدرسة أعجزتهم وكانت حجارتها

نجمة الاحتفال

---

[12] – نفسه ، 103 – 104 .

تلك هزليّة الجد ، وإنسانية التوحش ، و(ديمقراطية) التسلط ، وجاهلية الحضارة.

ثانياً : حياة المعتقلين وصور معاناتهم

كتلة من الإرهاب والبشاعة يرصدها الشاعر ؛ لتشكل قاموساً صريحاً من مقومات الوجود اللاحضاري للمحتل .

ترتكز هذه الصور أساساً على نقيض الدعاية الصهيونية التي تحاول اقتحام العالم عن طريق تسويق بعض المصطلحات الفارغة من حيث التطبيق و العلاقة مع الشعب المحتل ، يطلق الشاعر اسم (الوصايا العشر) على مجموعة من الممارسات العسكرية في معتقلات الاحتلال ليكسبها هالة من التقديس والاعتناق عند الأعداء الذين يتواصون بها على اختلاف الأشكال والألوان . يقول :[13]

جميع الحقوق محفوظة
مركز الأبحاث والدراسات
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لم تثنه كل السنين العشر

في أخذ الوصايا العشر

لا ترحم ولا تطعم

ولا تعط ولا تبق

---

[13] – طه ، المتوكل ، رمن الصعود ، 53 – 54 .

وصادر كل ما تلقى

وفتش أعين الأسرى

ورش الغاز في الغرفة

ولا تترك لهم شرفة

واشتم عرض واليهمْ

وحطم رأس حاديهم

تشكل هذه الممارسات محاولة على الصعيدين : المادي والمعنوي ، لتفريغ المعتقل من جوهره ومحتواه قيمة النضالية والسياسية.[14]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما الاعتقال داخل المعتقل فهو يشكل تكثيفاً لدرامية المشهد والحركات المتبادلة التي جردت الجندي إلا من نازيته حينما لا يقف عند الوصايا العشر ، بل يتعدّاها إلى أعمق من ذلك ، اقتحام داخل المعتقل ؛ لتتأزم العقدة في قصة السجن . يقول الشاعر[15].

اعصف فإني عاصفةْ

ودماء قلبي راعفةْ

وجموعنا في كتصعوت الموت هبت واقفة

---

(14) – جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات ، 114 .

(15) طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 53 – 54 .

لا الجوع يكسرنا

ولا رعب الشفاه الناشفة

وزوابع الصحراء تشوينا

وترمينا بنار قاذفة

تشكل هذه المقطوعة فضلا عما ذكر قبلها نشيدا جماعيا دالا على التحدي الـــذي يكـــون بحجم التحدي المضاد نفسه .

ويلجأ الشاعر إلى لحم هذا النشيد بالتنظيم العسكري الفلسطيني (العاصفة) لكـــي تضفـــي العاصفة بظلالها على مرحلة التحدي القائمة في السجون.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والحرب التي يشنها العدو على المعتقلين نفسية ومادية وقد قال الشاعر هذه القصيدة إثـــر قيام الجيش باقتحام خيام سجن النقب الصحراوي القابع في مكان خال من مظاهر الحياة وحـــــار جدا (16).

وعملية الاقتحام التي صورها الشاعر ليست إلا نوعا من العقاب والإرهاب ؛ تهدف إلى تحقيق أمر نفسي آخر هو تأكيد سلطة إدارة السجن وإهانة المعتقلين ؛ ويجري بـــدون سبب إلا بهدف الإزعاج .[17]

---

(16) ينظر ، قاسم ، عبد الستار ، أيام في معتقل النقب ، 1989، 25.

يصل نشيد التحدي عند الشاعر مرحلة متقدمة من خيار أوحد لا ثاني له ، الموت الـــذي يصوره الشاعر على أنه اختيار وليس إجبارا حتى ولو أطلق الرصاص عليهم فلم يبق شيء للفلسطيني يخشى عليه من الضياع ، إنه لا يملك إلا التحدي ، يقول الشاعر :[18]

وإن متنا ، وإن جعنا

وإن كنا بهذا السجن لن نخسر

فكل حياتنا موت ، وكل حياتنا جوع

وكل حياتنا سجن

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولم تبق لنا أرضا ، ولم تبق لنا عرضا

ولم تبق لنا فرضا

ليست هذه نفحة للتشاؤم بقدر ما هي دوافع للتحدي ؛ حينما تغلق أمامنا كل الأبـــواب لا يبقى لنا إلا المقاومة والمواجهة ؛ الخيار الأوحد .

يصور الشاعر بيئة المعتقل من الداخل بأنها بيئة لا تصلح للحياة ، تلك العلاقة الفلســفية فالمكان لا يصلح للحياة والعدو المحتل الذي صممه مثله تماما لا يصلح للحياة هنا.

---

[17] – نفسه ، 41 .

[18] – طه ، التوكل ، فضاء الأغنيات ، 61 .

وغبار الأشياء في المعتقل هو غبار المرحلة وعنصر الغموض الذي يلف طرقنـــا إلـــى الخلاص يقول الشاعر :[19]

وقليل من طعام في (المجاشات) [20]

ولا ماء هناك

و(مشاتيح)[21] ترامت لغسيل الموت كانت

والبطاطين غبار وذباب

مزق لضلوع القمل قدروها

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

نقاط التقاء بين القمع المادي والمعنوي الممارس ضد المعتقلين ودور أشياء الطبيعة فـــي التوحد مع عامل الضغط لتحول معتقل النقب إلى جحيم لا يطاق .[22]

وينضم عامل آخر لا يخلو من عمق فلسفي يدور دورته لتكثيف معاناة المعتقليـــن مـــن الناحية النفسية هو (عامل الزمن) .

---

[19] – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 74 – 75 .

[20] – (مجاش) الذي يوضع فيه طعام المعتقلين (كلمة عبرية) .

[21] – (مشتاح) ألواح حشية ينام عليها المعتقلون كانت في أصلها لتحميل الضائع (كلمة عبرية) .

[22] – ينظر : دعنا ، عبد العليم ، معتقل النقب الصحراوي ، رابطة الجامعيين ، الخليل ، 1993 ، 11 .

تختلط المشاعر والصفات بشكل لا ترابطي ، وعلاقات غير منطقية هي النتاج الحقيقي لعامل الزمن المندمج مع كل العوامل المادية والنفسية والبيئية التي يصورها الشاعر فتصب جميعها في معاناة كبيرة .

هذه صور المعاناة ، تلتقي في نفس إنسان يبحث دائما عن معنى لحياته التي يريد أن يعدها دائما هدفا يجب تحقيقه ؛ ويعد نفسه الوسيلة لتحقيق غاية أسمى منه [23] ، يقول الشاعر :[24]

بين جدران الزنازين يكون العام يوما

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويكون اليوم عام

هذه حكمة السجن وأيام السجين

ولهذا يخرج المسجون من سجن الظلام

هرما طفلا ولحنا ... وأنين

الإنسان السجين ، جسد في المعتقل وروح بين الأهل تسكن أرجاء الوطن ، وهذا بعد فلسفي آخر ، ومن العلاقة بين الجسد والروح والوطن .

---

[23] – ينظر : دور ، الزابيت ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، 170 .

[24] – طه ، التوكل ، ريح النار المقبلة ، 80 .

بمشهد من الحوار الداخلي مع النفس يصور الشاعر كيف يسكن الجسد في مكان والروح في مكان آخر .

يظل عنصر الحوار الداخلي جزءا من مكونات النفس المتشابكة مع جـــدار المعتقـل ، وفيه خروج آخر على جدار مصطنع بالقوة كما الاحتـــلال مصطنـــع بـــالقوة كذلـك ، يقـول الشاعر :[25]

أقول : حبيبتي ؟!

وترد في فرح

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أنا ، وتضمني ...

ويكاد قلبي (أن يطير)

ويخلع القفص المنيع

يتجسد إذ ذاك الحلم بالانعتاق، وهو يشكل خروجا آخر علـــى معطيـــات القيـد والمحتل ؛ فالحلم حق لا يسلب بالأسلاك والرشاشات ، فللمكان دلالتـــه الخاصـــة التـــي بلورها الشاعر في إرادة الخروج على إرادة القيد .

[25] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 72 .

ومن صور الحرب النفسية ضد المعتقلين مأساة الاعتقال الإداري المحرم دوليا ، اعتقال بدون تهمة أو محاكمة ولو شكلية ؛ ولا موعد إفراج .

وتزدحم المشاعر المتأججة الغاضبة بعد طول انتظار لموعد لم يأت بسبب تجديد الاعتقال . يقول الشاعر[26]

ويحلم بعد أيام سأنهي الحكم

سوف أكرس الأيام تقبيلا لعينيها

وأفرش أجمل الأحلام

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تحت كؤوس عينيها .....

يبلغني جنود السجن

ستة أشهر أخرى

(إداري) سوف تقضيها

الجانب الإيجابي في السجن وميلاد الأمل :

على الرغم من الصورة الموحشة للسجن والمعاناة المريرة فيه ، إلا أن فيه من الإيجابيات ما استوقف الشاعر ، فصوره في قصائد النقيبة من خلال تجربته الإعتقالية.

---

[26] نفسه ، 110-111 .

الجانب الهام في هذه اللفتات الإيجابية لتجربة الاعتقال أنها تشكل التعبير عـــن انتصـــار إرادة المعتقل على إرادة العدو .

إن الشاعر يحاول تجريد الأدوات القمعية الصهيونية من فاعليتها ليعلن إنتهاء صلاحيتـها ، إذ تحولت السجون من مقابر للأحياء إلى مدارس تخرج فيها قادة وأدباء وأبطال ومفكـــرون .

يقول الشاعر :[27]

لا بأس !!

فالسجن سهم يصيب المخابئ

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في القلب

يكشف سر الزمان الثقيل

ويجعل ذكرى الطفولة والعشق

أشهى العذاب

ويكتبنا سورة للإباء .

فالاعتقال عامل هام من عوامل صياغة الشخصية الأسيرة ، ويصور الشاعر بذلـــك أن الكبت والعزلة في السجن أحدثت عكس ما توقع العدو ، فقد فجر السجن الطاقات الكامنة وجنـــح

---

[27] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 42 – 43 .

الشاعر في تلك المقطوعة إلى فلسفة الزمن مما يكسب التجربة طابعا أعمق (يكشف سر الزمـــان الثقيل) في إشارة إلى أن ثقل المرحلة وآلامها تتبدى جلية واضحة في مرحلة العودة إلى الـــذات في عزلة السجن .

استطاع الشاعر التحكم بالموازنة بين ألم التضحية ولذتها في تركيب المفارقـــة (أشـــهى العذاب).

إن الشاعر يحاول تجريد السجن من اقترانه بالصورة المفزعة ، حتى ينفخ في الشـــباب والأشبال روح التمرد على تلك المرحلة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويشير الشاعر إلى ما هو أعمق من تفريغ السجن من فاعليته السالبة ، لينتقل إلى فكـــرة مراجعة المسيرة التي تحتاج دائما إلى التقويم حتى تظل لها فاعليتها في تحقيق ما نصبوا إليه.

بهذا يكسب الشاعر تجربة الاعتقال خصائص لا تتميز بها مرحلة أخرى مـــن النضـــال.

يقول الشاعر :[28]

والسجن ضوء نسافر فيه

إلى كل ما قد مضى من سنين

نقلب ما قد نسينا

---

[28] – نفسه ، 93 .

وندرك بعد فوات الأوان

بأنا ظلمنا

وأنا عدلنا

وأن علينا بألا نكون السيوف التي تعشق الغمد

عدة مرتكزات تحققها المسيرة ، يدفع السجين إلـــى إدراكـــها ، يصقـــل الفكـــر والإرادة

ويغذي روح الجماعة بسبب المعاناة المشتركة ، يقول كذلك :[29]

السجن يصقل زند الفتوة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الإسكندرية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يزرع معنى التجلد في الروح

يخلق روح الجماعة في الفرد

يلحظ على هذه المقطوعة أنها مباشرة ، وأكثر وضوحا مما عليه المقطوعة السابقة.

ومن هذا نستكشف أثر البيئة في تفاعل الشاعر مع الصورة ، فالمقطوعة الأولـــى مـــن قصائد الشاعر في المعتقل في حين تجد الثانية كتبت بعد فترة من خروجه من المعتقل .

---

(29) – طه ، المتوكل ، رغوة السوال ، 82 .

الموازنة بين الاتجاهين ، تلك رؤية الشاعر لإنجازات التجربة ، طائفة هائلة من مفردات المعاناة تشكل النور للشعب والوطن والنار على العدو الغاصب ، لا تفتر في زحمة المعاناة واكتظاظ المصاعب حيث ينتصب الأمل في حياة الأسرى .

هذا الأمل جزء من مقاومة تيار المحتل وخططه الرامية للنيل من عزائم المعتقلين ، حالة فلسفية تخرج المعتقل من المحدود إلى الأفق ، تلك المشاعر التي فجرها الشاعر بصورة عفوية مرتجلة إثر قيام الجيش الإسرائيلي باقتحام خيام سجن النقب الصحراوي ، يقول الشاعر :[30]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الوطنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما المعسكر والسياج الشائكات/

الماثلات / الناحفة

فغدا يكون مكانها الدفلى

وحبات الكروم الرائفة

وتكون حبل مشانق مجدولة

لذوي العقول الزائفة

وخيامنا الصفرا ستمسي

---

(30) – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 80 – 81 .

إنها عودة الشاعر إلى توظيف أشياء الطبيعة للاندماج مع هويته ضد المحتل وعدوانه ، اعتراف الطبيعة بالأسير كصاحب حق ، وعدم الاعتراف بالآخر .

تزدحم بعض مفردات السجن ليقابلها الشاعر بمفردات الطبيعة (الحرية) ويوحد هذه المفارقة لتؤدي إلى الأمل المنشود في أحلك اللحظات وأشدها قسوة .

هكذا تظل صورة السجن ممتدة عبر قصائد الشاعر في بعض مجموعاته الشعرية.

ذات الشاعر ترتبط بذات الجماعة كامتداد المعركة المصير المشترك .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مما يلفت النظر في قصائد (المتوكل طه) التي تحدثت عن السجن من نواحيه المختلفة أن لا تجد فيها تصويرا لفترة التعذيب في زنازين التحقيق ، تلك المرحلة الأكثر إيلاما في حياة المعتقل ماديا ومعنويا .

عبر الشاعر عن معاناته في كثير من الأحايين من خلال تصوره لمعاناة الجماعة كالصورة الدقيقة التي رسمها الشاعر لجنود الاحتلال وهم يقومون باعتقال شقيقه . أو معاناة الأسيرة الفلسطينية التي سأتناولها في الفصل القادم عن (المرأة) .

إنها قصائد تصور السجن بكل ما فيه ، من شاعر كابد محنة السجن ، قصائد ولدها الشاعر في سجن النقب وزنازين المعتقلات والسجون خلال فترة التحقيق معه .

"كان لها بصمات خاصة على روحه وإبداعه الشعري ... ، أي أنها كانت نتاجا حتميـــا لمعاناة شربها الشاعر قطرة قطرة ولم تكن فيض خاطر تتوارد من على شرفة مـــنزل أو أثنـــاء لحظة تأمل مع الأفق ، لذلك كان من الطبيعة أن تأتي القصدية على مهل ويأتي معها تأمل مـــن الداخل دون ألوان ودون زخرفة ".[31]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[31] – الغزاوي ، عزت ، نحو رؤية نقدية حديثة ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس . 198 ، 63 .

الفصل الثالث

المرأة في شعر المتوكل طه

- تمهيد

أولا – المرأة كيان بيولوجي.

ثانيا – المرأة كيان عاطفي.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثالثا – المرأة في خندق المواجهة وسجون الاحتلال .

تمهيد :

يملأ فعل المرأة الحدث الثوري الراهن ، تمتلئ الشوارع والحارات والمدن والقرى والمخيمات بأشكال المرأة الفاعلة في الحدث .[1]

ولم يغب حضور المرأة عن الوجود في قلب النضال منذ الإرهاصات الأولى ، بطولات نسائية لا حصر لها بأشكال وصور مختلفة من الكفاح والتضحيات ،[2] كما خاضت المرأة الفلسطينية تجربة الاعتقال ، وجسدت المعاناة الإنسانية والوطنية بكل ما فيها من انكسار وانتصار .[3]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فقد استحقت المرأة الفلسطينية كل الاهتمام من شعرائنا ، بل فرضت وجودها عليهم ، فقد صوروا دورها الطليعي والريادي ، وفي أثناء انتفاضة 1987 أصبحت المرأة الفلسطينية أكثر قربا من شعرائنا وهي تضرب أروع صور البطولة والفداء والبذل والتضحية.[4]

قبل استعراض صورة المرأة في شعر (المتوكل طه) سأقف عند مقطوعة شعرية لها أهمية بالغة ، فقد نظر الشاعر إلى صنفين من النساء الفلسطينيات ، صنف أرستقراطي يعيش بعيدا عن الحالة الراهنة (الثورة) ، وصنف يشارك الرجل تضحياته وبطولاته .

---

(1) – أبو عزالة ، إلهام ، المرأة في شعر الانتفاضة ، منشورة في كتاب (الثقافة والانتفاضة) للمتوكل طه وإبراهيم جوهر ، ط1 ، اتحاد الكتاب ، القدس ، 160 .

(2) – ينظر : طوقان ، فدوى ، الرحلة الأصعب ، 147 .

(3) – ينظر الفاهوم ، وليد ، فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي ، 177 .

هذه المسألة الطبقية ظهرت في شعر (المتوكل طه) بعد اتفاق (أوسلو) حيث يلاحـــظ أن المعاناة اقتصرت على فئة من الشعب دون أخرى بعد اتفاقات السلام ، يقول الشاعر :[5]

امرأة تمضي نحو السجن

تعني .....

وامرأة كسرت تحفة صالون القصر

وتأمر خادمها أن يأخذها من ذاك السجن

إلى ... مشوار

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويظل الشارع دون جدار

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة بدأت تظهر في أشعار ما بعد الاتفاقـــات الســـلمية ، ويلتقي أصحابها مع (المتوكل طه) في هذا البعد الاجتماعي الطبقي .

يقول الشاعر (صخر أبو نزار) :[6]

هل تستوي امرأتان في نفس السطر

أولاهما شدت لأمريكا النظر

قالت : أريد سحابتي طفلا بلا ماض

---

[4] – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 190 (مرجع سابق) .

[5] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 46 .

تعقده جوازات السفر

وانشدت الأخرى إلى زيتونة في القدس

كي تهب السحابة للمطر

قالت : حلمت بألف طفل من دمي

وهوية الأطفال في وطني الحجر .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(6) – أبو نزار ، نشيد الحجر ، ط2 ، مؤسسة العنقاء ، 1999 ، 39 – 40 .

المرأة كيان بيولوجي :

تظهر صورة المرأة بصفاتها ودورها البيولوجي ، وهي صـــورة تمتلـــئ بـــها أشـــعار الانتفاضة الفلسطينية .[7] يقول الشاعر :[8]

وأقول يا امرأتي التي أهوى

أحبك كالخرافة والعذاب !!

ومناي أن أمشي إلى كسل المفاصل

بالزوابع والرعود .....

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلزنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويكون يا امرأتي

بأنا قد زرعنا عشقنا طفلا

تربى في الحنايا مثلما شئنا

وإذا كان من الممكن أن نسقط على هذا الإنجاب صفة المهمة الوطنية ، فإن الصـــورة لا تخرج عن النطاق الميكانيكي لكنها ميكانيكية غير سالبة ، تعطي المد الديمغرافي عمقا أوسع.

---

[7] – أبو غزالة ، إلهام، المرأة في شعر الانتفاضة ، 162 .

[8] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 38 – 43 .

و لا يكتفي بالإشارة إلى هذا الدور البيولوجي (الولادة والإنجاب) ؛ لكنه يبقى مستمرا في حصر صورة المرأة ضمن نطاق بيتي يشكل جزءا من مفاهيم تقليدية لدور المرأة المتوقع.

يقول الشاعر :[9]

اجعليه يكبر الآن سريعا

لتغني في يدي ابني المقاليع

ويصب الغضب القدسي

غيمات من الجمر المذاب

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إدخال المرأة في المهمة الوطنية (الإنجاب) وإعداد الأجيال (التربية) لا تعد تجديدا في صورة المرأة الفلسطينية في الشعر المقاوم .

إنه وضع المرأة تحت سلطة الرجل التقليدية الموروثة من خلال صيغة تكرار الأمر والتوجيه التي خاطب بها الشاعر زوجته .

---

[9] – المصدر نفسه ،46 .

أولا : المرأة كيان عاطفي :

وتبدو هذه الصورة من خلال شعر (المتوكل) في السجن ، فقد ارتكز شعر أسرى المعتقلات في فلسطين عند الحديث عن الأم والوطن والحبيبة على العاطفة الخاصة والمولودة من الربط بينهما معا .[10]

فالأم هي التي خاطبها الشاعر في رثائه والده ، بدت صورتها ككيان عاطفي متكتم بالحسرات ، ساكن الحركات ، أسير المشاعر التي تعبر عنها من خلال مراسيم وطقوس شعبية ، يقول الشاعر :[11]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وما كنت أعرف
أن الذي مات شيء بأمي

فمن يومها لم تضع عطرها الياسمين

ولم تكتحل لليالي الملاح

وما عجنت لابنتيها الخضاب

صورة عاطفية ترسم الصورة هذه المرأة الفلسطينية من خلال طبيعتها التقليدية في التعامل مع محور الفجائع والمصائب .

---

(10) – ينظر : جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات في فلسطين ، 72 .

(11) – طه ، المتوكل ، رغوة السوال ، 43 – 44 .

وتتعمق الصورة العاطفية حينما يلبس الشاعر الزوجة ثوب الأم بكل حرارتها العاطفيـــة

حينما تحدث على لسان والده إلى والدته قائلاً :[12]

تقول لأمي : سأرجع ،

لا تقلقي إن تأخرت ليلاً ...

وكانت تنام

وعينان تنظر وقع الرجوع

وإغلاق باب

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تتجلى والدة الشاعر في هذه المقطوعة بصورة تقليدية للعلاقة مع الرجـــل كجـــزء مـــن البنية الاجتماعية الفلسطينية .

تتمحور تلك الإشارات حول ذاتية العلاقة بأساليب مختلفة تصب في المحصلـــة النهائيـــة في الصورة العاطفية المعذبة أحياناً والمنتشية أحايين أُخرى كما في قول الشاعر :[13]

ولمّا خرجتَ من السجن ، ها ؟! ها ؟؟ !

وأميَ : كيف ازدهت باللقاء معك !

تضحك أمّي .. ولمّا أوضح كيف تورّد ذاك المساءُ ...

---

[12] – المصدر نفسه ،46 .

[13] – طه ، المتوكل ، نفسه ، 49 .

وتشكل الطفلة في شعر (المتوكل طه) ملاذاً روحياً ، من لهيب الرمال في معتقل النقب ووحشة الفراق والعذاب ، كما تشكل له محاولةً للخروج من الواقع عبر الاتّصال بالنفس الشفافة الساكنة في طفلاته .

وهذه كذلك تركيبة عاطفية ممزوجة بالمعاناة والحب ، ونزعة إنسانية من الشاعر يَعبُرُ من خلالها إلى عالم اللاوعي في (الحرية) لمواجهة الواقع (رمال ملتهبة)

يقول الشاعر :[14]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حبيبتي الأحلى هزار
أميرتي الورد الجميل

وعمري الغالي هزار

ثانياً : المرأة في خندق المواجهة وسجون الاحتلال :

وهنا يبرز ما تسميه (إلهام أبو غزالة) بالموقف الإيجابي من المرأة ؛ إذ تجد الشاعر انتقل من تقليص حجم المرأة وعزلها فهو بوتقة الإنجاب والنزعة الوجدانية إلى العمل على :

---

(14) – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 71 .

تحقيق إيجابيتها [15] فتصبح المرأة تقاسم الرجل نزيف الجرح ومقارعة المحتل ، ويصورها الشاعر في حالة حركة وفعل يمتلئ بهما الشاعر ،[16] يقول الشاعر [17]

(بيرزيت) تخرج للشوارع والحقول

فهي المخيم والمزارع

فتياتها الزهرات نوار إلى الدنيا يقول:

أبدا سنبقى في شوارعها نصارع

الحالة الإيجابية تلحظ من خلال صورة المرأة في هذه المقطوعة مندمجة في عالم الرجل

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

، ليست عنصرا ثانويا أو مساعدا ؛ هي جزء من الاندماج في ساحات دموية عصيبة ، تدخل في عالم الرجل في لحظات الحلم والتأهب للصراع كجزء منه لا كطرف فيه[18] ويتطور مفهوم الأنوثة والجمال للمرأة في فلسطين في شعر (المتوكل طه) .

من خلال القصيدة التي بعث بها الشاعر إلى الأسيرات الفلسطينيات في (نفي ترتسا) إذ يقول الشاعر: [19]

يا أخت روحي التي ما نسيت

---

[15] – أبو غزالة ، إلهام ، المرأة في شعر الانتفاضة ، كتاب الثقافة والانتفاضة ، 170 .

[16] – ينظر : أبو عمشة ، د. عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه (سابق) ، 149 .

(17) طه ، مواسم الموت ، 20.

[18] – ينظر : الغزاوي ، عزت ، نحو رؤية نقدية حديثة ، 55 .

[19] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 39 – 40 .

أراك بسجنك أحلى وأبهى

فلا تستثيري حنان اليمام

فالقيد ، والحالة المعذبة ، عناصر الأنوثة الجميلة كما يصورها الشـــاعر ، إنـــها وقفـــة معذبة وعودة للذات حين يرى الشاعر ألمه من خلال سجن روحه المزدوج ؛ فهو يحـــاول مـــن خلال الفتاة الفلسطينية السجينة أن يرى ما هو البعد المأساوي الذي يأخذه واقع ســـجن الأســـرة الفلسطينية كاملة وراء أسوار المعتقل .[20]

يستمر الشاعر في تلك المناجاة مع الأسيرة الفلسطينية في (نفي ترتسا) في رؤية قـــدرات نساء فلسطين المتحققة من خلال مواجهة الاعتقال والعزلة من خلال تساؤلات تدور حول ربـــط دور المرأة ومعاناتها من جهة ، وتوحد معاناة الأسرة الفلسطينية من جهة أخرى.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

نوعان من الجوع يبدوان في الصورة ، جوع مادي للطعام واستمرار الحيـــاة ، وجـــوع معنوي للحرية والانعتاق من الأسر والزنازين ، بهذا تسموا صورة المرأة إلـــى مرتبـــة عاليـــة إيجابية تبتعد عن التقليد والمحاكاة للموروثات .

يقول الشاعر :[21]

يا أخت روحي

---

(20) — ينظر : الغزاوي ،عزت ، نحو رؤية نقدية حديثة ، 66 .

(21) — طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 41.

أأسال جوعك كيف يشقق فيك الجبال

وكيف البلابل في شفتيك تنادي البحار ؟

وكيف الزنازين تصحو على الصرخات

ونحن سواء ؟؟

إن الوصول إلى مرحلة (ونحن سواء) هي البعد الإيجابي لصورة المرأة التي تحدثت عنها (إلهام أبو غزالة) في بحثها عن صورة المرأة في شعر الانتفاضة على الرغم من جنوح الشاعر نحو رابطة الدم (أخت روحي) في دخوله إلى كيان المرأة الأسيرة ، إلا أن (المتوكل طه) استطاع من خلال قصائده في المعتقل وبالذات قصيدته (ونحن سواء) أن يرتفع بصورة المرأة إلى درجة المشاركة المتساوية في التضحية والدور الريادي والطليعي .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأرى أن الناحية البيولوجية (الإنجاب) ضرورية لمد الثورة بالعنصر البشري ، والجانب العاطفي ، والعمل الكفاحي مجتمعة في (المرأة الفلسطينية) ؛ وأن المتوكل طه استطاع أن يصورها دون أن يطغى جانب على آخر مثلما نلمس عند شعراء آخرين اقتصرت صورة المرأة عندهم على ناحية دون الأخرى .

الباب الثاني

ويشتمل على الأفصل التالية :

الفصل الأول : التواصل بالتراث في شعر المتوكل طه

الفصل الثاني : الصورة الشعرية عند المتوكل طه

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث : اللغة في شعر المتوكل طه

الفصل الرابع : الموسيقى في شعر المتوكل طه

الفصل الأول

التواصل بالتراث في شعر (المتوكل طه)

تمهيد :

التراث نبع لا ينضب لاستلهام الشعراء والأدباء

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أولا : التراث الديني في شعر المتوكل طه

1-التناص القرآني

2-صورة الصليب

ثانيا : التراث التاريخي في شعر المتوكل طه

1-استلهام الشاعر للشخصية التاريخية

2-استلهام الحدث التاريخي

ثالثا : التراث الشعبي في شعر المتوكل طه

تمهيد :

التراث نبع لا ينضب لاستلهام الشعراء والأدباء

ترتبط حياة أمتنا الحاضرة أقوى ارتباط بحياتها الماضية ، فهي تستمد بقاءها ونموها من تعاليم دينها الحنيف ، ومما أثر عن سلفها الصالح من أخلاق سامية ، وعادات كريمة ، وفي ذلك ما يكفل السمو والنمو والبقاء للأمة بحيث تكون لهذه الحياة الهيمنة التامة على الحياة المادية . [1]

ولقد ظلت أمتنا تستمد روافد استمرارها من تراثها الضخم ، غير أنه تراث يحتاج الآن إلى أن تتناوله أيدي الإصلاح تناولا ملائما للعصر الذي طغت فيه تيارات المادة طغيانا كبيرا .[2]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فلا يخفى على دارس للأدب أو متذوق له أن التواصل بالتراث سواء أكان دينيا أم تاريخيا أم شعبيا يجعل للنص نكهة خاصة ؛ وعمقا أقوى يثير القارئ ، ويجعله أكثر قربا من النص ، ويدل على سعة ثقافة المبدع ، ويخلق الثقة بين القارئ والنص .

إن الشعر الحديث عرف في العقود الأخيرة رغبة عميقة في توظيف التراث ، لم تعرف من قبل ، أي : استخدام معطياته استخداما فنيا إيحائيا ، وتوظيفها رمزيا لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث ملامح معاناته فتصبح هذه

---

(1) – العطاس ، هارون أحمد ، عاد في التاريخ ، ط1 ، مطبعة حسان ، القاهرة 1978 ، (مقدمة حمد الجاسر) .

(2) – ينظر : المرجع نفسه (المقدمة) .

المعطيات معطيات تراثية معاصرة ، تحمل التعبير عن هموم الشاعر الممزوجة بعراقة التراث وكل أصالته .[3]

إن أهمية تلك العلاقة التي ربطت الشاعر الحديث بالتراث ليست مجرد تراكم معلومات وخبرات ، لكنه ذو أهمية بالغة ، إنه اعتراف أمام الذات والعالم ، اعتراف بوجود ، اعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي ومن حقها أن تستقل وتنمو على أساس وحدة شخصيتها القومية وتفاعلها الحر مع التراث الإنساني الحضاري الشامل .[4]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإذا كان الشاعر المعاصر يستمد تراثه أدوات وعناصر ومعطيات يوظفها لتجسيد رؤية المعاصرة ، فإنه يثري هذه العناصر التراثية بما يكتشفه فيها من دلالات إيحائية ، وبما يفجره من قدرات تعبيرية متجددة ، بحيث ترتد هذه العناصر غنى وحيوية وتجددا وقدرة على البقاء . [5]

وقد اهتدى الشاعر العربي المعاصر إلى الصورة العلائقية بالتراث عبر بحثه الدائب عن أدوات ووسائل تعبيرية تتسع لاستيعاب أبعاد رؤيته المعاصرة بكل ما فيها من غنى ، وتستطيع أن تنقل هذه الرؤية إلى وجدان المتلقي بكل حرارتها وصدقها ، وقد وقع الشاعر في بحثه ذاك

---

(3) – ينظر : زايد ، علي عشري ، توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر ، مجلة فصول مجلد 1 ، عدد 1 ، تشرين الأول 1980 . ص 204 .

(4) – ينظر : البياتي ، عبد الوهاب ، الشاعر العربي المعاصر والتراث ، مجلة فصول عدد 4 ، 1981 ، 19 .

عن منجم بكر غني بالكنوز التي لا ينفذ لها عطاء ألا وهو التراث ، حيث وجد بين يديه تراثا بالغ الغنى ، متعدد المصادر والموارد ، ومن ثم فقد عكف على كنوز هذا التراث يستمد من مصادره المتنوعة أدوات وعناصر ومعطيات يمسح عنها غبار القرون ؛ ويفجر فيها طاقات الإيحاء والتعبير المتجدد ، وقد أدرك أن المعطيات التراثية تكتسب لونا خاصا من القداسة في نفوس الأمة ، ونوعا من اللصوق بوجدانها ، لما للتراث من حضور حي ودائم في وجدان الأمة [6].

وأهم ما يمكن أن نلحظه من هذه الآراء هي الإشارة إلى عنصر الإثراء المتبادل بين النص المعاصر والحديث من جهة ، ومعطيات التراث ومقوماته من جهة أخرى ، فبقدر ما يمنح التراث النص إيحاء وقدسية ، فإن الأديب يبعث في الكنوز التاريخية التجدد والحيوية والعطاء .

إن مسألة العناية بالتراث أصبحت مسألة مفروغا منها حتى لدى أكثر الأوساط تشبثا بالتجديد وثورة على القديم .[7]

أسباب لجوء الأدباء المعاصرين إلى استلهام التراث وتتمثل في ما يأتي :[8]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(5) – ينظر : زايد ، علي عشري ، توظيف التراث في شعرنا المعاصر ، مجلة فصول ، مجلد (1) ، عدد (1) ، 1980 ، 204 .

(6) ينظر : نفسه ، 204 .

(7) الطعان ، د. هاشم ، التراث والأدب المعاصر ، مجلة الشعر ، عدد (9) 1978 .

(8) – ينظر : سنداوي ، خالد ، الصورة الشعرية عند فدوى طوقان ، دار للشرق 1993 ، 81 .

1-***العوامل الفنية*** : وهي إحساس الشاعر بمدى غنى التراث ، ثم نزعة الشاعر إلى إضفاء نوع من الموضوعية والدرامية على عاطفته الغنائية .

2-***العوامل الثقافية*** : وهي من تأثير حركة إحياء التراث ، وتوجه الأنظار إلى كنوزه ، وتأثر الشعراء بالاتجاهات الأوروبية الداعية إلى الارتباط بالموروث .

3-***العوامل السياسية والاجتماعية*** : حيث يلجأ الأدباء حين يشتد القهر السياسي والاجتماعي إلى التعبير بطرق فنية غير مباشرة تحمي أصحابها من بطش القوى السياسية وأجهزتها.

4-***العوامل القومية*** : لمواجهة الخطر الذي يهدد الكيان القومي للأمة العربية فترتد الأمة تلقائيا إلى جذورها تأكيدا لكيانها ، والتراث واحد من تلك الجذور القوية .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

5-***العوامل النفسية*** : الهروب من إحساس الغربة الذي يعانيه الشاعر في العالم المعاصر مما يدفعه إلى الهرب من هذا الواقع .

من هنا يبدو أن الفائدة لا تكمن في الوصول إلى الكنوز التراثية بقدر ما تكون من خلال توظيف تلك الكنوز ، وكيفية التوظيف بما يضفي على النص الأدبي تلك الإيحائية المنشودة .

أولا : التراث الديني في شعر (المتوكل طه) .

1- التناص القرآني

هو مصدر خصب من مصادر الإلهام الأدبي ، لأن الدين في كل الأزمنة والأمكنة يشكل ملاذا روحيا للأدباء خاصة والناس بعامة بسبب ارتباطه المباشر بحياتهم .[9]

ويوافق نقاد آخرون هذا الرأي ، مركزين على الارتباط الوجداني بين الدين والإنسان ، لأن الدين يحتل حيزا هاما وعميقا في وجدان الناس .[10]

وقد تأثر شعراؤنا بالقرآن الكريم معاني وألفاظا وتراكيب ، وكان تأثرهم يتناسب مع طبيعة الموضوع والغرض ، وعمق تجربة الشاعر ومدى تفاعله مع الثقافة الإسلامية". [11]

ظل القرآن الكريم مصدرا يستلهم منه الأدباء شعراء وناثرين معانيهم مستغلين طاقاتهم الإبداعية في الوصل بين تجاربهم وتضوصه ؛ وهم بذلك يثبتون أن التراث مستمر ودائم وقابل للتشكيل وإعادة الصياغة .[12]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأنتقل الآن إلى تتبع استلهام الشاعر (المتوكل طه) للنصوص القرآنية وأشكال هذا التواصل ومدلولاته .

---

(9) – ينظر : قاسم ، د. نادر ، التواصل بالتراث في الرواية العربية الفلسطينية الحديثة ، رسالة دكتوراة ، (مخطوطة) ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1994 ، 14 .

(10) – ينظر : أبو نضال ، نزيه ، الشعر الفلسطيني المقاتل ، 63 .

(11) – الهاشمي ، محمد عادل ، أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ط1 ، مكتبة المنار الأردن ، 1986 ، 283.

(12) – ينظر : قاسم ، د. نادر ، التواصل بالتراث في الرواية العربية الفلسطينية الحديثة ، 100 .

يربط الشاعر بين مخاض مريم العذراء – عليها السلام– بما فيه من ألم وشدة من جهة وما تمخض عن ذلك المخاض من ميلاد رسول التسامح الإنساني ، لينسق الشاعر في حالة درامية بين العذاب والتضحية وما يتمخض عنه من نتائج تتمثل في ميلاد النصر والخلاص.

يقول الشاعر :[13]

فنامي كي يتم الحمل

فالحمل نضوج وشقاء واصطحاب

وغدا هزي جذوع النخل

إن شقت بروق الألم الصاخب لحم القلب

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويحلينا الشاعر إلى قوله تعالى على لسان مريم – عليها السلام– :[14]

" وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا "

أما الإيحاء الثاني الذي اكتسبه النص الشعري من خلال التواصل بهذه الآية ، فهو إضفاء قدسية خاصة من خلال دور المرأة الفلسطينية في الإنجاب ، من أجل أن يظهر هذا الدور مقدسا للإمداد البشري للانتفاضة (الدور البيولوجي) .

وهذا التناص تناص مع التركيب القرآني وليس المفردة أو الإشارة غير المباشرة.

---

[13] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 54 .

ويتعمق الشاعر في البعد النفسي للصراع ، مصورا الهزيمة النفسية الداخلية لجنود الاحتلال ، فيقول الشاعر :[15]

ثم ينتصر الصغار

ويرفعون على المداخل صورة الشهداء

والعلم المفدى

والجنود هناك في أقصى الطريق

يسبحون بحمد رب الانسحاب

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وهنا نستذكر آيات قرآنية كثيرة ، تتمازج وتتداخل مع هذا التواصل ، منها قوله تعالى:[16]

" فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها " .

إسناد الحالة الروحية ، والابتهالات التعبدية من قبل الجنود المحتلين إلى فكرة الجلاء عن الأرض المحتلة ذروة التعبير عن الفشل الذي مني به المغتصب .

---

(14) – سورة مريم ، 25 .

(15) – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 115 .

(16) – سورة طه ، 130 .

وجاء في التفسير (وسبح) وصل (بحمد) في موضع الحال وأنت حامد لحدوث الفعل.[17]

وتشبث الاحتلال بالإنسحاب ، الهزيمة الكبرى انسحاب طوعي في ظاهرة قسري في داخله وحالة التسبيح لا تخرج بالطبع عن التعبير عن المحتوى النفسي . [18]

لقد بحث الشاعر إذ ذاك عن طريقة للتعبير عن انتصار إرادة المقاومة ضد المحتل ، فاستلهم حالة شعورية عمقت وبأرت صورة هزيمة جنود الاحتلال من خلال التناص .

وهو تناص متصل مع التركيبة القرآنية .

وفي مقطوعة شعرية أخرى ، تكتسب أهميتها من كونها خطابا شعريا موجها للقيادة الفلسطينية ، يدخل الشاعر إليه من خلال الإحالة إلى القصة القرآنية ؛ لكي تتجذر معطيات النص من خلال الصيغة القرآنية ، يقول الشاعر [19]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أنت نبينا العصري

فاضرب بالعصا الأمواج

لن نهلك

ويشكل التواصل بالقصة القرآنية إحدى صور التناص القرآني في الشعر الحديث ؛ ويكمن حسن التوظيف هنا في أن الشاعر استخدم صورة بني إسرائيل الذين كافحوا وقاوموا

---

(17) – النسفي ، عبد الله بن أحمد ، تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تفسير سورة طه ، 130 .

(18) – ينظر : سامي ، سحر ، التناص الديني في شعر محمود درويش ، مجلة الشعراء ، عدد 4 ، 5 ، بيت الشعر الفلسطيني ، 1999 ، 77 .

دعوة سيدنا موسى ، ليصور مرحلة الثورة الفلسطينية التي تسعى لإنقاذ فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي (ضرب العصا) رمز العبور واجتياز الواقع ، رمز الدخول إلى مرحلة ما بعد الخلاص.

هذا الرمز اقتنصه الشاعر كتوظيف مفردي عبر عن الأمل المنشود بالنجاة من طغاة العصر الحديث ؛ كما نجا موسى عليه السلام بمن آمن معه وتخلص من الظلم .

"فالرمز وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه بغيره ، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي". [20]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

في خضم تصورات الشاعر للمرحلة التالية للاعتراف بالآخر وحقه في الوجود ، وتشاؤم الشاعر بمرحلة ما بعد (أوسلو) يستمد الشاعر سورة قرآنية ليكشف لنا خطورة المرحلة ودعائمها ، فيقول الشاعر :[21]

أبشركم أنها القارعة

وما سوف يدريك ما القارعة

خراب سيكمل دورته التابعة

---

(19) طه ، فضاء الأغنيات ، 119.

(20) – ناصف ، مصطفى ، الصورة الأدبية ، ط2 ، دار الأندلس 1981 ، 153 .

(21) – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 30 .

يحيلنا النص مباشرة إلى سورة القارعة ، يقول تعالى :[22] "القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش" .

لقد استمد الشاعر من الصورة الفظيعة لأهوال القارعة ما ينسج منه صورة هائلة لأحوال الوضع بعد وأد الثورة .

هذا المدخل يمثل براعة الشاعر في انتقاء الصورة البلاغية للتركيب القرآني ، فالقارعة في القرآن ستحول الناس إلى فراش متطاير ضعيف ؛ والجبال إلى صوف متعدد الألوان [23] لذلك استلهم الشاعر الصبغة المولمة ، لكي يحذرنا أشد التحذير من خطورة المرحلة القادمة بتتابع الدوار والخراب . هنالك عدة مواضع من التواصل بالنص القرآني بطرائق وأساليب متغيرة [24] عند الشاعر .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية

ويستنتج من خلال هذه الأمثلة إلى أن التناص هو أن يتشرب نص حديث نصا سابقا له ، بحيث يتمازج النصان ويشتركان في إفادة المعنى وتدعيمه بما أصله النص الأسبق ، وما أضفاه عليه النص اللاحق من إحياء للمدلولات ؛ ويمثل التناص القرآني عند الشاعر مدخلا سليما ، يتميز باختياره وانتقائه لمواضع تخدم الغرض المنشود من خلال الالتحام اللغوي به.

---

[22] – القارعة ، 1 – 5.

[23] – ينظر : النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، مجلد ، القارعة 1 – 5.

[24] – ينظر على سبيل المثال : زمن الصعود ، 44 ، مواسم الموت والحياة ، 150 ، فضاء الأعنبات ، 16 .

إنه "تلاقح النصوص عبر المحاورة والاستلهام والاستنساخ بطريقة واعية أو غير مقصودة" .[25]

2- التراث الديني المسيحي (صورة الصليب) .

لا شك في أن التراث الديني المسيحي بما يحتويه من عذابات الصلب ومفاهيم التضحية والفداء غني بالإيحاءات والرموز الشعرية المتناغمة مع عذابات الفلسطيني وهمومه وتضحياته" .[26]

ويبدو أن تطابقا عاليا بين فكرة فداء المسيح للبشرية ، وفداء الإنسان الفلسطيني لوطنه وشعبه وقضيته ، في ذروة العطاء الذي يوجه الموت من أجل الخلاص .[27]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ظل (الصليب) من أكثر الرموز المسيحية استلهاما في الشعر الفلسطيني.[28]

مقومات دينية مسيحية تساهم في تشكيل الخط الشعري وأبعاده المعمقة في النص المتواصل بالتراث الديني .

"إن مثل هذا التوحيد في المؤثرات ، أو المرجعية يقود إلى تقوية النص ، وإبعاده عن الشعارية المقيتة ، لأنه يستلهم العقيدة الدينية استلهاما فنيا .[29]

---

(25) – حمداوي ، جميل ، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر الكويت ، ع 3 ، 1997 ، 103 .

(26) – أو نضال ، نزيه ، الشعر الفلسطيني المقاتل ، 71 .

(27) – ينظر : نفسه ، 71 .

(28) – ينظر : (للاستزادة) سامي ، سحر ، التناص الديني في شعر محمود درويش ، 84 .

(29) – علي ، عبد الرضا ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1995 ، 112 .

أما (المتوكل طه) فقد استوحى من الموروث (المسيح) رمزا ؛ وهو يحمل على عاتقه أخطاء البشرية ، عندما وصف المبعد بأنه مسيح الانتفاضة الذي حمل على عاتقه عذاب المنتفضين" [30] ، يقول الشاعر : [31]

احمل عذابي يا مسيح الانتفاضة

وانطلق

لن يبعدوك

وإن بغربتك الجديدة أطلقوك

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يا مسيح الانتفاضة

يتموا أطفالنا قبل المخاض

تلك العلاقة التي وصفها الشاعر عضوية ملتحمة بين (المسيح) والعذاب والتضحية .

ومنذ البداية تلحظ في صورة (المسيح) أشكال الاضطهاد والظلم والتعذيب ، ونسيجا أسود من المؤامرات تسعى إلى قهر دعوة السلام والخلاص والنقاء التي حملتها دعوة (المسيح) واستلهمها الشاعر استلهاما فنيا إيحائيا يدعم الصورة .

---

(30) – جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات في فلسطين ، 231 .

(31) طه ، المتوكل، زمن الصعود ، 64-68.

وأبعد من ذلك ، إيحاره في دلالات الإيحاءات الذي يدعم (الصلب) من خـــلال النـــص الشعري ، تذهب سحر سامي إلى إبراز حالتين متلازمتين في صورة الصليب المنبعثة من جديـــد في رحلة العذاب الفلسطيني ، مشيرة أولا إلى أن الصليب متعدد الدلالات ، وسياق النص ينبـــه إلى طبيعة الدلالة التي يقدمها الشاعر في النص ، فالصلب هو الظلم والتشريد من جهـــة متحـــدا بالقتل الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني ، ومن جهة مقابلة ، يمثـــل الصليـــب الحلـــم والغايـــة الأسمى التي تدفع للصمود وتمنح المقاتل والشاعر حق الوجود من خلال الدفـــاع أو الاستشـــهاد على أخشاب الصليب ومساميره .[32] يقول الشاعر :[33]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

عفوا

فإني ما نسيت القابعين بسجنهم

والسائرين على مسامير الصليب

ومن تدلى تحت أعواد المشانق

إن صورة صلب المسيح صورة إيحائية بالغة جدا ، وأعود إلى كتـــاب العـــهد الجديـــد لاستخرج منه الصورة التي تناولت هذه الحادثة ، فيظهر لنا كيـــف اســـتطاع الشـــاعر تنـــاول المدلولات وتوظيفها في النصوص الشعرية .

---

(32) – سامي ، سحر ، التناص الديني في شعر محمود درويش ، 84 .

(33) – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 91 – 92 .

جاء في (إنجيل مرقس) 12 ،، : 33 وعند الظهر خيم الظلام على الأرض كلها حتـــى الساعة الثالثة ، وفي الساعة الثالثة ، صرخ يسوع بصوت عال :" إيلوئي ، إيلوئي ، لما شـبقتاني " أي : إلهي إلهي : لماذا تركتني ؟" [34]

والسيد المسيح يمثل ملاذا لكل المعذبين والمضطهدين والمقموعين في الأرض ؛ لذا نجـد الشاعر يتناول تلك الطريقة البشعة في الموت (الصلب) في عدة مراحل من تجربته الشـــعرية ، يقول الشاعر : [35]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الإسكندرية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالأحمر الثوري الجرح فوق ألسنة اللهيب

والأحمر القاني رحيل فوق أشواك الصليب

والأحمر المعطاء فجر أرجواني يطل من المغيب

لكن الشاعر ذهب إلى ما هو أعمق من الصورة المباشرة للعذاب الذي يوحي به الصليـب ، واستشرف الشاعر علاقة أخرى مع جسد الأرض فقد امتد شعوره إلى الالتفات إلى اللحمة بيـن جسد المصلوب والصليب ، صانعا إذ ذاك الصورة مضادة للشكل العادي أو التقليدي للحادثـــة ،

---

(34) – إنجيل مرقس 15 – 16 ، ص 81 .

(35) – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 29 .

فاستمد علاقة جميلة مع الوطن كعلاقة المسيح مع الصليب ، التصاق والتئام ، ورضى عما يقاسيه من آلام ولقاء وعناق للوطن .

يقول الشاعر :[36]

وما يخجلني الآن

أني قبيح وأنت المليح

وأني انطواء الرمال وأنت الصريح

وهذا لأني بقيت الصليب

وأنت المسيح

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد رمز الشاعر بصلب المسيح إلى صلب الشعوب والجماعات التائقة للتحرير ؛ وعبر الشاعر من خلال ذلك إلى أن خلاص المسيح من مؤامرة التصفية والقتل هو علامة خلاص الشعب الفلسطيني من كل صور الإرهاب والقتل والعذاب .

يقول الشاعر :[37]

هل رحلوا ؟!؟

وهل خلص المسيح

---

[36] – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 68 .

[37] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 33 – 34 .

فالمسيح هو (الفدائي) ، والصليب (صورة العذاب والقتل) ، والشعر يعيد إلـــى أذهاننـــا تلك الحادثة كمصدر خصب للبذل والاستمرار والمخاض الذي قاست ويلاته أم المســـيح ، هـــو المولود المعجزة (الثورة) [38] وحين يعتقد الطغاة أنهم بصلبهم المخلص قد نجحوا بقتـــل الثـــورة يكتشفون لحظتها كم هم واهمون .[39]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(38) – ينظر : أبو نضال ، نزيه ، الشعر الفلسطيني المقاتل ، 72 .

(39) – ينظر : نفسه ، 75 .

ثانيا : التراث التاريخي في شعر (المتوكل طه)

الرمز من الوسائل الفنية المهمة في الشعر ، إذ يقصد به الشاعر إلى الإيحـــاء والتلميـــح بدلا من اللجوء إلى المباشرة والتصريح ، والرمز الشعري بأبسط معانيه هو الدلالـــة علـــى مـــا وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهر مقصودا أيضا . [40]

ويعد التاريخ مصدرا للتجارب البشرية استمد منـــه كثـــير مـــن الأدبـــاء موضوعـــات لإبداعاتهم ، والأديب ليس مكلفا في ذلك بأن يرجع إلى التاريخ ليعرف الناس به أو ليبعثه أمـــام أبصارهم ، إنما يختار من التجربة التي تصلح للتعبير عن مشكلة إنسانية أو اجتماعية تشـــغله أو تشغل عصره أو تشغل الإنسان في ذاته . [41]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والذي يجب أن نخلص إليه من هذا الرأي أنه يجب التفريق بين مهمة الشاعر المقتنـــص للتجارب التاريخية وإيحاءاتها والمؤرخ المعني بمسائل علمية ومناهج توثيقية وترجيح روايـــة أو تفسير حدث .

إن المبدع يلجأ إلى الموروث التاريخي خاصة محاولة منه في تجاوز واقعـــة وتجـــاوز الخطوط التي صنعها الآخرون قبله ، إنه يجنح دائما نحو فضـــاءات جديـــدة غـــير مألوفـــة أو مطروحة بالطريقة ذاتها ، لم تطأها قدم قبله ومثل هذه النصوص الحديثة التي تستنطق الأحـــداث

---

[40] – ينظر : عباس ، إحسان ، فن الشعر ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 238 .

[41] – ينظر : مندور ، محمد ، الأدب ، فنونه ، دار المطبوعات العربية (د ت) ،

والشخصيات التاريخية القديمة نصوص تحتاج إلى قراءة متعمقة تعتمد الحفر في طبقات النـــص [42].

ويبدو الرمز في شعرنا الفلسطيني كثيرا من خلال توظيف التراث التاريخي شـــخصيات وأحداثا كان لها دورها الفاعل في تراثنا العريق .[43]

ثمة قضية أخرى قد يستلهمها الشعر الحديث من التراث التاريخي وهي مسألة اســـتذكار الأمجاد التاريخية الإسلامية والانتصارات الرائدة التي سعى شعراؤنا من خلالها إلى اســـتنهاض الهمم وبعث الأمل في نفوس الناس خاصة حينما يشتد بهم القمع والقهر والتنكيل وبهذا ســـنجد أن التأثر لم يقتصر على الموضوعات والأحداث فحسب ، بل تعداها إلى محاولة اســـترجاع القيـــم الحضارية في التاريخ الإسلامي خاصة .[44]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الشاعر المحدث يجد في المصادر التاريخية ما يقنع به النص المعاصر ، بقناعات توحـــي إلى وشائج العلاقة بين الحاضر والماضي بحيث يؤدي هذا القناع وظـــائف متغـــايرة ، ويلعـــب أدوارا مختلفة ويحقق غايات وأهدافا متباينة .[45]

---

(42) – ينظر : الروضات ، عبد عون ، قراءة متأنية في صليب أسور ، صحيفة الأيام 2000/7/4 ، العدد 1630 ، الثلاثاء .

(43) – ينظر : جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات في فلسطين ، 229 .

(44) – ينظر : الهاشمي ، محمد عادل ، أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، 294 – 295 .

(45) – ينظر : بسيسو ، عبد الرحمن ، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر ، ط ع1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1991 ، 12 .

من خلال دراستي في شعر (المتوكل طه) لاحظت أن مجموعاته الشعرية التي سبقت (أوسلو) كان التراث التاريخي فيها غير مكثف ، ولم يشكل ظاهرة فنية في أشعاره الأولى لكنني لمست بسهولة أن الشاعر صار يجنح نحو التراث التاريخي وتقنيع النص بهذا اللثام بعد مرحلة (أوسلو) .

ويسعى توظيف التراث التاريخي إلى إقامة صدام بين الماضي والحاضر ضمن شبكة علاقات فنية وشرارة هذا الصدام هي البعد الفني .

يبدو أن ذلك كان ردة فعل بمستوى المرحلة ؛ شعورا من الشاعر بأن الخطابية والأساليب المباشرة لم تعد مجدية ، ويذكر الأستاذ جميل البرغوثي في مقدمته المتوكل طه ريح النار المقبلة بأن الشاعر محمود درويش نصحه بأن يدخل لكل قصدية عبر التاريخ .[46]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

1- استلهام الشاعر للشخصية التاريخية :

تواصل الشاعر مع مجموعة من الشخصيات التاريخية على امتداد تجربته الشعرية ، ومن هذه الشخصيات من هو غير مسلم كبوذا ؛ ومنها من هو مسلم مثل (هارون الرشيد) ؛ وسأتتبع تناوله لمجموعة من تلك الشخصيات على امتداد إصداراته الشعرية .

---

(46) – ريح النار المقبلة ، المقدمة .

في رثائه للشاعر الفلسطيني (معين بسيسو) يشبه الشاعر اغتيال (بسيسو) على يد القتلة ، باغتيال الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- على يد الخوارج ؛ وقد نفذ الاغتيال آنذاك عبد الله بن ملجم .

وقد ظلت صورة الإمام علي - كرم الله وجهه- تمثل تربة خصبه لاستلهام الشعراء حيث يمثل رحيل الإمام علي ، خليفة رسول الله أعلى مراتب التضحية والفداء ؛ كيف لا ؟ وهو أول فدائي في الإسلام .

يقول الشاعر :[47]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فهل كنت تنسى

بأن العواصم تحمي ابن ملجم

حتى تصافح سكينهم في المساء

وتضحي عليا

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن الشاعر لا يسعى من خلال هذه الحركة إلى تشبيه الشاعر (معين بسيسو) بالخليفة الراشدي (علي بن أبي طالب) ؛ إنما يريد أن يوحد بين الأجواء الفدائية والتضحية ؛ ليضفي على رحيل (بسيسو) جوا تاريخيا مشحونا بالعاطفة والقداسة المستقاة

---

(47) – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 45 .

من اغتيال الإمام (علي) ؛ ويستلهم الشاعر من قصة الغرام العذرية بين (قيس ابـــن الملـــوح) و (ليلى العامرية) ما يمد صورته عشقا ورطوبة وجمالا حينما يصف الأغاني الوطنية والأهـــاريج الشعبية في بلدته (قلقيلية) .

محور العاطفة الجياشة المتدفقة استقاها الشاعر من هذه القصة التي ظل لها صدى كبـــير في التاريخ العربي بل الإنساني ليمزج تلك الروعة التي ارتبطت بالقصـــة مـــع علاقـــة النـــاس بعضهم ببعض في (قلقيلية) يقول :[48]

ويصطف جمع الرجال

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ليقطر ليل السواحل بالحب

يجمع قيسا بليلى

ويزهر حزن المحبين بالشوق

ينحل قلب القدر

ومن هنا يبدو أن اتصال الشاعر بالشخصيات التاريخية لم يقف عند حد الجانب السياســـي أو البطولي أو الديكتاتورية ؛ بل تعداها إلى الجوانب العاطفية والشعبية والاجتماعيـــة المباشـــرة وغير المباشرة .

---

[48] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 25 – 26 .

وفي الوقت الذي يكابد فيه الشاعر ضياع الأرض ، وبيع القضية ، وتمزيـــق الوطـــن ، وحبك المؤامرات يلجأ إلى الاتصال بشخصيات ملـــوك الطوائـــف الذيـــن مـــهدوا بإنقســـاماتهم وتبعثرهم أجزاء منثورة لسقوط الأندلس فريسة ، يقول الشاعر :[49]

ورحنا نشبه حيفا بإشبيليا

- التي ما نسينا-

ولم نتبين بأنا نشيع أندلسين معا

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأن ملوك الطوائف

باعوا تراب السيوف

وقاموا بذبح غزالاتها الساحرة ؟

كانت خطوة موفقة حينما اقتطع الشاعر من تاريخ ملوك الطوائف في الأندلس ما يدعـــم تشبيه القيادات والحكام في الزمن الحاضر بهم .

تلك الصورة استمدها شعراء قدماء عبروا عن استيائهم من تلك الفـــترة بســـبب الفرقـــة والتشتت الذي مهد للضياع .

---

[49] – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 13- 14 .

فهذا الشاعر ابن رشيق القيرواني ، يقول :[50]

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

" وأوضح ما تكون أصالة الأديب في تحليل نفوس الشخصيات التاريخية واختيار البواعث التي يفسر بها تصرفاتها على ضوء المنطق العام للفترة التي اختار منها موضوعه ومن هنا تفاوت الأدباء في تصوير الشخصية التاريخية الواحدة . [51]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والشاعر في تناوله لشخصية ملوك الطوائف كان يريد إسناد الهزيمة والعار التاريخي بمثل هؤلاء القادة الذين كانوا سببا في انهيار امبراطورية المسلمين في الأندلس .

لم يقف (المتوكل طه) عند فترة ملوك الطوائف ؛ بل عاد بحركة دائرية إلى الخلف ليبث شكواه المحرقة ، وكمده المكبوت إلى القائد الذي فتح الأندلس ، ليبني الشاعر اتصاله بالشخصيات الأندلسية على عنصر المفارقة .

---

[50] – القيرواني ، ابن رشيق ، ديوانه ، المكتبة العصرية ط 1 ، 1998 ، 66 .

[51] – مندور ، محمد ، الأدب وفنونه ، 79 .

في الوقت السالب الذي قاده ملوك الطوائف عاد الشاعر إلى استلهام العزائم وبث الـــهمم من خلال استصراخ الصورة الإيجابية النقية للأندلس الإسلامية ، بنداء القائد (طارق بن زيـــاد) قائلا :[52]

وامتد نوح الصغيرات ..

يا طارق بن زياد لماذا تموت

وحولك ميسرة لا تكل

وخيل تزمجر في الميمنة

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن استحضار هذه الشخصيات الأندلسية تعبير عن استياء الشاعر ورفضه لمؤتمر مدريد [53].

يستيقظ القارئ مع هذه الصرخة بعد السبات الذي صوره من خـــلال ملـــوك الطوائـــف باستنهاض القائد المسلم طارق بن زياد أحد أبرز المجاهدين الفاتحين فـــي تـــاريخ المســـلمين ، ليجتاز بنا الشاعر ضيق المرحلة كما اجتاز طارق بن زياد مضيق جبـــل طـــارق متجـــها إلـــى الأندلس .

---

[52] طه ، المتوكل ، رعوة السؤال ، 15.

[53] – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 224 .

إن شعراء عديدين استلهموا شخصية طارق بن زياد ليضفوا من بطولته وآفاق فتحه مـــا يحيط البطل المعاصر بهالة من التمجيد .[54]

وبعد أن عرض صور الشخصيات الإيجابية ينتقل الشاعر إلى عـــرض صـــورة القمـــع والتنكيل والتسلط والتجبر التي اقترنت بصورة القائد العسكري الحجاج بن يوسف الثقفي ؛ ليقنـــع الشاعر بوساطته صورة زعماء المرحلة وديكتاتوريتهم .

لقد استدعى الشاعر صورة الحجاج من خلال مقولة شهيرة استشهد بها الحجاج في إحدى خطبه الحامية.

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الشاعر:[55]

يخرج الحجاج من بحر قديم

يعتلي عرش الهياكل

وعلمنا أن حجاج الروايات أتى

من بر أعمامي القدامى ...

وأرى الحجاج في ديباجة الحكم يغني

لرقاب أينعت ، وقطاف قد دنا ...

---

(54) – ينظر : الهاشمي ، محمد عادل ، أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا ، 294 .

(55) – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 50 .

مثل كمثرى الخمائل !

وبغض النظر عن حقيقة ما يلصق بشخصية الحجاج في التاريخ ؛ فإن ذلك ليس من مهمة الشاعر ، إنه يتواصل مع الصورة التاريخية المتوارثة عبر الأحقاب معبرا عن استيائه من عودة الحجاج إلى العصر الحديث بصورة معاصرة .

إن مبدأ التقمص وما يتصل به من وسائط وأدوات وفي مقدمتها القناع هو الرحم الذي نمت فيه البذور الأولى للفنون .[56]

وبهذا التقمص يقنع الشاعر نمطا من الحكام والزعماء ؛ مؤديا بذلك إلى كشف حقيقة نفوسهم ، أما شخصية (بوذا) فقد استوحى منها الشاعر صورة سيئة للحاكم الذي يعيش في السماء وشعبه القابع تحت الصفر .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد نسج الشاعر القصيدة كاملة بعنوان (بوذا) ، وتعقيب (1) ؛ وتعقيب (2) .

وقد استوحى الشاعر من (بوذا) معالم الحاكم الديكتاتوري والهمجي والظالم والإرهابي عبر تسلسل الصورة وتراكمها وتناسقها ، وكلمات موحية بالزمن القديم ومصطلحاته ؛ حيث عمد الشاعر إلى عدم الوقوع في مأزق الخلط بين القديم والجديد .

---

(56) – ينظر : بسيسو ، عبد الرحمن ، قصيدة القناع ، 12 .

وترابطت مجموعة إيحاءات طويلة متصلة عبر غنائية واسعة الآفاق ، وإيقاع موسيقى جعل الشاعر من خلاله المشهد متحركا حركات دائرية تتمحور كلها ، وتصب في شخصية الحاكم المستبد المهترئ فكريا ، المنحل خلقيا ، المنهار سياسيا ، المتسلط بأدوات التنكيل المترف المنتقم الذي يعيش في أبراج لا يرى من خلالها كدح الشعب .

ولا أستطيع هنا حشد الصور الكثيرة التي صور الشاعر (بوذا) من خلالها أي : صور الحاكم العربي من خلالها ، ولكنني سأنتقي مجموعة منها ، يقول الشاعر في تعقيب (1) من خلال المفارقة بين الحاكم والشعب :

جميع الحقوق محفوظة
الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبوذا له زخرف الشهد لما يمد الطعام المنوع .[57]

وللشعب أن يمتطي الجوع عاما ، وعاما ليبقى من الجائعين .[58]

ولا يلبس القز بوذا أو القطن أو بدلة من حرير له بردة

الصوف في البر والبحر والقر والحر ... [59]

وللشعب أن يسطلي بالبرودة و القيظ ... [60]

---

[57] – طه ، المتوكل ، ربح النار المقبلة ، 8 .

[58] – نفسه ، 8 .

[59] – نفسه ، 8 .

[60] – نفسه ، 8 .

وبغض النظر عن موقف بعض النقاد من كون (بوذا) قد لا يصلح لأن يمثل هذه الشخصية على أنها رمز أو نموذج (للديكتاتور المقدس) .[61]

وهكذا فإن الشاعر استدعى شخصيات تاريخية بعضها مسلم وبعضها الآخر ليس مسلما ؛ ليستولدها دلالات معاصرة تشكل قاسما مشتركا .

وبعضها يمثل الشخصية الإيجابية ذات المدلولات الخيرة (كطارق بن زياد) ؛ والبعض الآخر يمثل القمع والإرهاب (كالحجاج) و (بوذا) ؛ ومجمل القول فإن الشاعر أحسن توظيف هذه الصور التاريخية بحسب ما هو سائد عنها في التاريخ .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

2- استلهام الحدث التاريخي:

يعود الشاعر إلى أحداث صنعت التاريخ ، وشكلت فكرة الصراع اللامتناهي ؛ لكي يوظف تلك الأحداث في خدمة النص الشعري ، ويربط من خلال تلك الأجواء التاريخية الضاربة في عمق الحياة الإنسانية مرحلة بأخرى .

تمثل معركة (كربلاء) أو كما تسمى مذبحة (كربلاء) التي استشهد فيها الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما– ومعظم أفراد عائلته على يد جيش الأمويين خارطة من المعاني الأليمة التي تصلح للتوظيف في الشعر الحديث .

---

(61) – نفسه ، من المقدمة .

وتشكل (كربلاء) عقدة في التاريخ الإسلامي ؛ كونها تمثل سفك الدم المسلم على يد المسلم ، وكونها تمثل عقدة أليمة للشيعة الذين يعاقبون أنفسهم على خذلانهم الحسين بن علي في تلك المعركة .

يستمد الشاعر من تلك الأجواء الملتهبة بالظلم والقتل والمواقف الدموية التي تنبع من معركة (كربلاء) ؛ لينقل صورة القتل والمذبحة المحرقة على حياة الشعب الفلسطيني ؛ وندب النساء للفجائع التي تلم بهن كأنها (كربلاء) .

يقول الشاعر في رسالته إلى الأسيرات الفلسطينيات في (نفي ترتسا) .[62]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأسأل : كيف تنام عصافير حزنك

في الليل

كيف يغرد فيك الهزار

نهارا

وكيف تشقين ثوب (العتابا)

على كربلاء ؟!

---

[62] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 37 – 38 .

ولعل البادي من الصورة شيء يتعلق بوضع المرأة الفلسطينية الأسيرة ؛ وهي تكابد السجن ؛ وتستقبل مآسي الشعب والأهل .

وتلك الصورة يستمدها الشاعر مما تمارسه نساء الشيعة من طقوس تراجيدية في ذكرى (كربلاء) وما تحمله تلك المجزرة من سواد في التاريخ ؛ والشاعر يلجأ إلى (كربلاء) لأنها تمثل امتدادا يختلف عن المآسي الآخر ؛ كونها ذكرى مختلطة بالدماء في تاريخ المسلمين.

وعلاقة (كربلاء) علاقة حميمة بمعركة (صفين) ، تلك نقطة ساخنة في التاريخ الإسلامي مثل (كربلاء) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"لقد كانت حربا ضروسا أوشكت أن تفني المسلمين ؛ وتذهب بمجدهم وتمحو آثارهم".[63]

دمج الشاعر بين مأساة إسلامية هي (صفين) ، ومأساة عربية جاهلية هي (حرب البسوس) التي كاد العرب يهلكون من استمرارها بسبب مقتل ناقة .

نقلة خاطفة بين التاريخ العربي قبل الإسلام والتاريخ الإسلامي بعد البعثة المحمدية ؛ (حرب البسوس) و (صفين) ، مثل القول : تعددت الأسباب والموت واحد .

---

[63] – المنقري ، نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط3 دار الجيل ، بيروت ، 1990 مقدمة هارون .

فمهما كانت أشكالها وصورها ودرجة مأساويتها ، فإنها على كل حال نقطة مؤلمة في تاريخ العرب والمسلمين لا يمكن تجاوزها ، يقول الشاعر :[64]

خرجوا ... وكانوا أطلقوا النوق البسوس

بكل حي ، والسلاح

وسطروا أوراق فتنتنا ...

وراحوا يشربون على دم ينثال

من صخر (السلام) أو (الكفاح) ،

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وأسرعوا خطو الرحيل

قبيل (صفين) الجديدة ...

أسرعوا ، خرجوا كأن لم يدخلوا

صور الشاعر في هذه القصيدة انسحاب الجيش الصهيوني من (رام الله) والمدن الفلسطينية نتيجة الاتفاقات السلمية (أوسلو) ، ليعبر عن محاولة العدو بث الفتنة والتفرقة بين صفوف الشعب ؛ ليصل به الحال إلى ما وصل إليه العرب في (حرب البسوس) والمسلمون في حرب (صفين) .

---

[64] طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 118 .

وهذا هو البعد (الديمغرافي) الذي يشكل عقدة للاحتلال ؛ فيحاول تجاوزه إما عن طريق ترحيله أو تهويده أو خلخلة بنيانه الاجتماعي والخلقي .

أما المذبحة التي حلت بالبرامكة على يد الخليفة العباسي (هارون الرشيد) فهي تشكل تربة خصبة ليستقي منها الشاعر مادة ديوان كامل من الألف إلى الياء ؛ حيث أزمة التناقض في شخصية الحاكم ، وأزمة السياسية ، وحبكتها الدائرية الملتوية التي لا يسهل على الشاعر أن يتجاوزها ؛ بل يقل عندها ليستنهضها من مراقدها التاريخية ، وخزائنها التي احتوت مخطوطاتها ، ويعيدها إلينا في حلة شعرية ، حظيت باهتمام النقاد والباحثين أكر مما حظي به أي ديوان آخر للشاعر نفسه .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإذا كان الرمز بما يعني من اكتشاف تشابه بين شيئين اكتشافا ذاتيا [65] فإن الشاعر قدم إلينا الرمز بما هو أعقد من التشابه السطحي القريب في توظيفه لحادثة الفتك بالبرامكة على يد الرشيد بعد أن تجاوزوا الخطوط الحمراء كلها في الدولة .

---

[65] ينظر : أبو إصبع ، صالح ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 109 ، 1979 .

لقد حاول الشاعر في ديوان (حليب أسود) الذي تقنع بقصة البرامكة مع الرشيد أن يتجاوز واقعة ، ويتجاوز الخطوط التي صنعها الآخرون قبله ، إن محاولة الشاعر هذه وهي تتكئ على الموروث الثقافي استطاعت أن ترسم لها طريقا إن لم يتسم بالجدة والتفرد فهو طريق لا يزال صعبا .[66]

إن هذا الكلام يتفق وما ذهب إليه الأستاذ علي عشري زايد في تلخيصه للعوامل التي تدفع الأدباء إلى اللجوء إلى الموروث ؛ وتوظيفه في أشعارهم ، ومنها العوامل السياسية والاجتماعية التي تدفع أصحاب الكلمة إلى التعبير بطرق فنية غير مباشرة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لقد استخدم الشاعر (نكبة البرامكة) ليضعها في مسار المجاورة مع ما يحدث في هذا الزمن وما يريد الشاعر توصيله من خلال هذه المناورة الإبداعية أن هناك أكثر من هارون في هذا العصر ما زالوا تحت تأثير البرمكة الجدد ، ينتشرون على امتداد الخارطة العربية الشاسعة وأن هذه الشخصيات تمر بمرحلة سيطرة البرامكة على حكمهم ، ووجودهم في الحكم صوري . [67]

---

(66) – ينظر : الروضان ، عبد عون ، قراءة متأنية في حليب أسود ، صحيفة الأيام ، العدد1630، فلسطين الثلاثاء ، 2000/7/4.

(67) – ينظر : الربيعي ، هادي ، قراءة في حليب أسود ، أوراق لها صورة أخرى ، صحيفة الحياة الجديدة ، فلسطين – 2000/8/10

أستخلص الإشارة الكبرى من خلال توظيف نكبة البرامكة ؛ وهي وجود بطانة فاسدة متجاوزة للحدود والمصلحة الوطنية ، وتدير دفة الحكم في بلادنا ، والحاكم بينهم صورة لا وزن لها ولا قيمة ؛يحجبونه عن الناس .

محاور السلطة والحكم قائمة على الفساد والفتنة والفجوة بين الحاكم والرعية ؛ تلك الخطوط العريضة التي أداها توظيف تاريخ البرامكة ؛ ودورهم في إدارة دفة الحياة في عهد الرشيد .

يقدم لنا الشاعر النص في (حليب أسود) مقنعا مع أن الضمير المستخدم عادة في قصيدة القناع هو ضمير (الأنا) ؛ فإن الشاعر لجأ إلى استخدام الضمير (هو) ، ليحقق فنية أخرى ، إذ ليس من الممكن الاعتراف من قبل الـ (هو) بما يقوم به من أحداث تتضمنها الأفعال المضارعة في القصيدة والدالة على آنية الحدث واستمرارية المستقبلية.[68]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يوظف الشاعر تلك النكبة ليقيم نقدا سياسيا مؤطرا بإطار تاريخي موروث ، من خلال تصوير تشعب نفوذ البرامكة [69] في عهد الخليفة العباسي الرشيد يقول الشاعر على لسان الرشيد [70] :

من يأنس في هذا الكرسي القول الفصل على الدهماء ، رعاع

---

[68] – ينظر : دويكات ، عباس ، بين الإحالة والتأويل ، مجلة الشعراء ، خريف 1999 ، بيت الشعر – فلسطين ، 107 .

[69] – حمونة ، خليل ، أم هكذا يرشف الحليب ؟! مجلة الشعراء خريف 111 ، 1999 .

الأسواق ، وكتاب الديوان ، أئمة جمع أحاديث رسول الله ...

عليه صلاة النور .. إذا فليأت مكاني ، ليرى أن عوايات

العطر ، وبرق الذهب خلاصة ما أملكه ، أما الجيش الجرار

وبيت المال فللأمراء برامكة العصر الشرفاء

يكشف الشاعر بهذه اللوحة عن انهيار سلطوي للحاكم في مسألتين تمثلان دعائم النظـــام السياسي ومقوماته هما : العسكرية والمالية الاقتصادية ؛ ففقدان السيطرة على هاتين المؤسســتين يدرج النظام السياسي في دائرة الشبهات والفساد .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الحاكم هنا يملك شئونا قليلة لا تتحكم في مصيرية الحياة ، يملك رعاع الأسواق وكتـــاب الديوان ، وعلماء الدين ، إنهم أدوات في يده غير مجدية ، حينما تقـــارن بســيطرة المتســلقين والحاشية المرتزقة على مقدرات البلاد الاقتصادية والعسكرية ، استمد الشـــاعر هــذه الصـــورة مستندا في ذلك على مقولة الرشيد ليحيى البرمكي حينما قلده رقاب الناس :" يـــا أبتـــي ، أنـــت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقـــي

---

(70) – طه ، المتوكل ، حليب أسود ، ط 1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، 1999 ، 8 .

إليك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، وافـــرض لمـــن رأيـــت [71] ، وأسقط من رأيت فإني غير ناظر معك في شيء". [72]

ويعرض الشاعر الحاشية التي تقف من وراء الحاكم ، كاشفا في ذلك عما يدل علـــى أن همجيتهم في التصرف كانت علنية وبقصد ؛ وليست هفوات من دون علم (الرشيد).

يقول الشاعر : [73] على لسان البرامكة :

نحن العقرب بجناحيه اللاسعتين الواسعتين ، هلاك الخبز ،

وريح الجنة والأسرار

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة جامعة الإمارات
مركز ايداع الرسائل الجامعية

صدى كسرى ، نحن الشهبندر والتجار

نحن البرد الضخم دخان الصوان الفواح وقاموس

الفضة والدينار

ويشير النقاد إلى أن ما يميز هذه المقطوعات التي توظف حادثة البرامكة أنها مقطوعـات تصلح لإدانة عدة فترات تاريخية ومعاصرة ، فلو أزلت العنوان وتخيلت نفسك تقرأ عن عصـــر ملوك الطوائف ، وكيف أن حاشية كل منهم عملت على التعجيل في تقويض مملكته "؛ لنكتشـــف

---

(71) – بمعنى : أعط رأيا .

(72) – نقلا عما نقله المتوكل طه من عدة مصادر ، ينظر : حليب أسود ، ب .

(73) – طه ، المتوكل ، حليب ، 20 .

أخيرا أننا لا نشرب في زماننا العربي غير حليب العناء الأسود الذي يدفعنا إلى مزيد من العنـــاء من أجل حليب نقي بلا شوائب ". [74]

لقد سعى الشاعر إلى تحقيق الإدانة الكاملة للأطراف كلها ، كما صور الموالي مكشـوفين لدى عامة الناس بل أقلهم حظا من الثقافة ، وكشف كل الأساليب الالتوائية والذرائع اللامنطقيـــة التي تتسلح الحاشية الملتفة حول كرسي الرئاسة بها .

وتتضح الإدانة الكاملة في رسالة (يحيى البرمكي) إلى (الرشيد) في (حليب أسود) يقـــول الشاعر :[75]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لماذا ، إذن قد جرى ما جرى ؟ أحاول تقليب بعض

الأمور فألقى ، كما سوف تلقى (لوحدك) ، أن كلينا

بريء بريء ، وأن كلينا بغيض بغيض

وأن لنا معجزات التناقض دون النبوة

والاجتراح

---

(74) – الربيعي ، هادي ، قراءة في حليب أسود ، صحيفة الحياة الجديدة 2000/8/10 .

(75) – طه ، المتوكل ، حليب أسود ، 70 .

فالشاعر كتب عن الظلم الذي يصدر غصبا عن قوة الظرف ، عن الغشـــومة المـــبررة وبعد ذلك لا يهم أي شيء آخر ؛ من الظالم ومن المظلوم ، لا يهم ، من الرابح ومن الخاســـر ، لا يهم هل الحليب أبيض أم أسود ، لا يهم .

ليست الإدانة هنا للمأساة القديمة رغم حضورها الكبير في مجموعة (حليـــب أســـود) ؛ ولكنها إدانة للأبطال والشخصيات والرموز المتكررة والنتيجة التي يبدو أنها لا تختلف في وقعـها المريع في القديم وفي الحديث من الأيام والسنين .

بهذا نلحظ أن فترة مأساة تفرد البرامكة بالحكم وإدارة الحياة هي الحدث التاريخي الأبـوز الذي وظفه الشاعر في اتكائه على الموروث في تصوير المرحلة ؛ وتقديمه نقدا سياســـيا مغلفـا بالشمع العباسي منتظرا في الوقت ذاته مصيرا ما زال لبرامكة القرن الحادي والعشرين.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إن إدانة فترة (الرشيد) تقل حينما نلمس عدول (الرشيد) عن ذلك الوضع الفاسد وإنهائـــه للأزمة وإن كان متأخرا .

ولكن في العصر الحديث يرتع برامكة جدد كما يرى الشاعر ما زالوا غـــير معرضيـــن للمآل أو المصير نفسه .

هكذا احتل هذا الحدث ديوانا بأكمله وتصدر تجربة متحولة نحو اللامباشرة في الخطـــاب الشعري والإغراق في الديكورات الفنية التي سعت لتقديم لوحة عباسية كاملة بجوهرها وشـــكلها موظفا إياها في نقد المرحلة والخروج عن التقليد المباشر الركيك في تقديم المرحلة .

عودة الشاعر إلى الماضي كما يذكر الشاعر (صلاح عبد الصبور) تعد محاولة لتكويـــن قشرة خشنة تقي من عوارض الهجوم الساحق ، كما يعود الفقير المفلس إلى ذكريات ثراء أجداده ؛ ليجد فيها عوضا عن تواضع حاضره .[76]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(76) – ينظر : الرفاعي ، د. جمال أحمد ، أثر الثقافة العربية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، دار الثقافة الجديدة – مصر ، / 291 .

ثالثا : التراث الشعبي في شعر (المتوكل طه)

" لكل شعب من شعوب العالم حضارته التي يعتز بها ويخلدها ، والشعب الفلسطيني ... يعتز بتراثه الذي يشير إلى حضارته التي توارثها عن أجداده جيلا بعد جيل".[78]

نلحظ منذ بداية هذا الكلام أن التراث الشعبي وجه حضاري لأي شعب ، ولأية أمة ، وأنه من مقومات الوجود الحضاري بأبعاده وأشكاله المختلفة .

وتراث الشعب الفلسطيني غني بالفنون التي تتميز بأهمية بالغة في حياته .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولا بد من التعرف إلى أهم مضامين التراث الشعبي المتشعبة ؛ فهي تشمل العادات والتقاليد في المناسبات كلها ، كالغناء والرقص في الأفراح ، والنواح وشق الجيوب في الأتراح ، وفنونا من الشعر العامي والأمثال ، وضروبا من الحكايات والخرافات والأساطير فضلا عن أدوات العمل والزراعة والأزياء الشعبية .

تلعب هذه الأنواع والصور المتعددة للتراث الشعبي دورا في توجيه حياة الشعب مما يعكس أثرها في الشعر الفلسطيني المعبر والمتفاعل مع هذه الحياة ، " وتعكس الكثير من حياة

---

(78) – عبد الجبار ، ناجي ، وآخرون ، دليل متحف التراث الشعبي الفلسطيني ، منشورات جمعية إنعاش الإسرة – البيرة ، فلسطين ، 7 ، 1987

الشعب وأفكاره وأمانيه ومشاكله وأحاسيسه" ،[79] ويعكس تناول صور التراث الشعبي حقيقة هـذا الشعب المرتبط بالأرض والحياة كما أنه يتيح لنا التعرف إلى فكره وفنونـه وأحاسيسـه بشـكل مباشر .[80]

ويضطلع بدور مهم في توجيه الشعب ، وتصوير أمنياته وتوقه إلى الحرية كمـا أن لـه صلة قوية في تعميق العلاقة بين الأرض والإنسان .

ومن الجدير ذكره أن المحتل الصهيوني يسعى إلى محو الذاكرة الشعبية محاولا طمـس هوية هذا الشعب ؛ لأن التراث الشعبي ركيزة من الركائز الوطنية التي يقـوم عليـها وجـوده وهويته الإسلامية ، لذا فإن الشعر الفلسطيني اتصل بمصادر التراث الشعبي من أجل توظيفه فـي تثبيت أركان المجتمع الفلسطيني وهويته .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فيبدو أن الشاعر (المتوكل طه) اتكأ على التراث الشعبي في بداية تجربته الشعرية فـي حين قلل ذلك الاتكاء بعد (أوسلو) ، إذ بدأ الشاعر يجنح نحو (المـوروث التـاريخي) ؛ وقـد فسرت ذلك اعتمادا على بعض الآراء في أن الشاعر شعر بأن المرحلة تتطلـب الابتعـاد عـن

---

[79] – عرنيطة ، يسرى جوهرية ، الفنون الشعبية في فلسطين ، ط3 ، منشورات المجتمع الثقافي ، أبو ظبي ، 1997، 3.

[80] – ينظر : نفسه ، 3 .

السطحية المباشرة والتوجه نحو القناع ، وقد وجد ضالته في (الموروث التاريخي) ؛ بينما كـــان التراث الشعبي يظهر بشكل أوضح وأوسع في الدواوين الأربعة الأولى .[81]

يبدو (المكان الشعبي) جزءا من لوحة التراث في شعر (المتوكل طه) ، ذلك المكان الـذي يؤمن بها ؛ ويدافع عنها ، ويعرضها من خلال شعره .

يشكل (المكان الشعبي) عدة احتمالات ستتضح من خلال النصوص .

(البيدر) في التراث الشعبي مكان صيفي ، ترتبط صورته ارتباطا وثيقا بالذكرى الجميلـة ، فهو مكان تجميع المحاصيل الزراعية (دلالة ارتباط الفلسطيني بأرضه) ؛ وهـــو دليـل أيـام السهرات والحفلات (دليل الوحدة والتواؤم الاجتماعي الذي يتميز به الشـــعب الفلســطيني قبـل الاحتلال وبعده) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

سرق العدو تلك البهجة ، واختطف الفرحة ، وأدخل الحياة المأساوية على حياة الشـــعب التي يسعى دائما إلى ضربها ؛ لأن استقرارها جزء من دعائم الوجـــود الارتبـاطي الوجدانـــي بالأرض .

يقول الشاعر :[82]

يا ساكني (عطش خيولك)

---

[81] – مواسم الموت والحياة ، وزمن الصعود ، وفضاء الأغنيات ، ورغوة السؤال .

[82] – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 75 .

ثم أوردها شرايين الفتوة ...

كي تدور رحى الطواحين القديمة

يستعيد البيدر الغناء موالا

يشب إلى التلال

والمقطوعة منسوجة بخيوط التراث الشعبي ، الخيل والخيال والفتوة والطواحين لكنها مرتبطة بالبيدر كمكان يشكل علاقة اجتماعية تساعد على امتداد حياة الشعب .

وإذا كان البيدر مكانا شعبيا مرتبطا بالقرية أكثر من غيرها ، فإن الشاعر صور التصاق الحارات الشعبية القديمة بوجدان المبعد الفلسطيني في مدينة (نابلس) ، حيث تدور كل الاتصالات الشعرية بالتراث الشعبي حول الأرض باعتبارها امتدادا للوجود الفلسطيني .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الشاعر مخاطبا مبعدا فلسطينيا من مدينة (نابلس) :[83]

لما أتاها ماء قلبك بالدفق

ما أجملك !!

وجبال نابلس الميادين

المدارس والصغار

---

[83] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 73 – 74 .

و (حارة الحبلة) و (رأس العين)

و (القريون) و (الياسمينة)

هذا يدل على أن المكان الشعبي في شعر (المتوكل طه) هو التعبير عن الإنسان وامتداده وعراقته وأصالته .

دمج الحارة بالنفس الشفافة التي أبعدت عنها ، لكن اكتظاظ هذه الأسماء ، وتراكمها عمل على تشظي النص وضغط التناسق الشعري في حين كان بإمكان الشاعر تأدية الدلالة بدون تكثيف هذه الأسماء المتراصة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي القصيدة ذاتها ـ بعد أن ذكر الشاعر هذه الحارات ـ قال :[84]

هل أبعدوك

وكل هذه الأرض تحملها معك ؟!

ثمة دلالة أخرى يؤديها هنا توظيف (المكان الشعبي) ، وهي تفريغ (الإبعاد) من محتواه المادي والمعنوي ، لأنه ليس سوى خطوة فاشلة مع أناس يسكن الوطن فيهم ، ويمتدون في التاريخ والحاضر والمستقبل من خلالها ، ليصبح الإبعاد خطوة من الاحتلال لا تجدي نفعا مع هؤلاء الأبطال .

---

(84) ـ نفسه ، 74 .

"رحل فحمل معه في رحلته القسرية جبـــال نـــابلس وحاراتـــها وميادينـــها ومدارســـها وصغارها وأشجارها وصخورها ؛ رحل فحمل معه الأرض والوطن".[85]

وقد وظف الشاعر دلالة أخرى للمكان الشعبي ؛ خاصة بالأمان الضيقة والأزقة ، هـــي انفجار الثورة من خلال كل حدب وصوب ، وإضفاء صبغة الشعبية علـــى الثـــورة (الانتفاضـــة 1987) . يقول الشاعر [86]

وتعال يا عربي وانظر

في المغاور والأزقة والحواكير المنيعة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والشوارع والمنازل

والطوابين الدفيئة والمصاطب

والمداخل والمباني

في بيوت الطين

ويصور الشاعر (إرادة الحياة) التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني على الرغم من الاحتـلال وإرهابه وقمعه من خلال وجه آخر للتراث الشعبي ؛ وهو عادات الأفراح الشعبية وتقاليدها فـــي بلدة (قلقيلية) .

---

(85) – التميمي ، د. سمير شحادة ، الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة ، 26 .

(86)طه ، فضاء الأغنيات ، 96-97.

وجود الاحتلال يدفع إلى أمر متوقع ، الحياة المأساوية بكل تداعياتها ، يـــأس وإحبـاط وهزيمة ، لكن الشاعر يكشف عن صورة مضادة ؛ واتجاه معاكس ، وتوقع مختلف عما يمكـــن حدوثه .

تقاوم البلدات في (فلسطين) بإرادة الحياة ، والتمرد على الواقـــع الصعـب ، واجتيـاز العقبات والسدود . يقول الشاعر :[87]

ويبدأ عرس الحواكير :

سمراء كحيلة الجفن

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فوق الصهيل

تزف إلى الفارس المنتظر .....

تنقر دربكة الرقص مصطحبة القلب

تنعف قمح الصبايا

على جرح ناي المغني

فتصطهد الأرض

من دبكات السحر .[88]

---

[87] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 24 – 25 .

أما الحكايات الشعبية فهي صورة جلية من التراث الشـــعبي لأي أمـــة ، ولأي شـــعب ؛ وظف الشاعر الحكايات الشعبية ليدلف منها إلى تحقيق غاية فـــي القضيـــة ، اســـتخدم الشـــاعر (الحكاية الشعبية) لينسج مفارقة كبيرة في منظوره السياسي .

لعل الشاعر وجد في أسلوب الحكاية الشعبية وسيلة مؤثرة ومشوقة في بناء حوار تقـــوم عليه نسائج الحكايات الشعبية غالبا .

يقول الشاعر :[89]

تقول العجوز

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كل شيء يجوز ...

أن يطير الفيل في الجو يجوز

أن تصير النار ماء

أن ينام الحوت في البحر

ويبكي ميت من لوعة الشوق .. يجوز !!

... ...

لكن ، هل من الجائز في دنيا العرب

---

[88] للاستزادة عن هذه الفنون الشعبية ينظر : عربيطة ، يسرى ، الفنون الشعبية في فلسطين (سابق) وينظر ، البرغوثي ، عبد اللطيف ، الأدب الشعبي في ضل الانتفاضة – مركز إحياء التراث العربي – الطبية ، 84 – 87 .

[89] – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 161 – 162 .

أن تثور الأنظمة

يصير الحاكم المحكوم جنديا شريفا يعتلي شمس الخيول

ويرد الصاغ ألفا للأيادي المجرمة ؟!

يكون الجواب :[90]

ربما ...

يمكن ...

ولكن ...

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لا يجوز !!

وللمثل الشعبي أو الحكمة وجود وصدى - وإن كان قليلا- في شعر (المتوكل طـــه) إلا أنه يعكس أشياء عديدة .

فالمثل جزء من الثقافة الشعبية والعامة ، فتواصل الشاعر بالمثل الشعبي يعكس جانبا مـــن هـــذه الثقافة .

والأمثال الشعبية في فلسطين تعكس مدى صلة الحاضر الفلسطيني بالماضي الحضـــاري للأمة والثقافة المشتركة .

---

(90) – نفسه ، 164 .

أسماء وإشارات كثيرة مزدحمة بسبب مسايرته للأحداث وصلته بالواقع الحياتي [92] إلا أنـــه مـــا زال يجد صدى عند الناس عامة على الرغم من تطور الحياة وتقدمها في عصر (التكنولوجيا) .

يدخل الشاعر من خلال هذه المناضلة إلى الربط بين أدوات التراث الشـــعبي معظمـــها بتاريخ التضحيات والنضال الفلسطيني ، ولا يقف الشاعر في توظيـــف الـــتراث الشـــعبي عنـــد المدلولات الخارجية الشكلية للتراث ، بل إنه يقود الأداة منها إلى النص لينفخ فيها أنفاسا إيحائيـــة تزيد القضية عمقا وبعدا .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الشاعر :[93]

- عروس انزفت .. كفت أوفت

من دون طرحة ، ومن دون فرحة

بدلة كاكي البدلة البدلة البيظا

وحطة سمرا من أهل صيدا

... والزفة من أهل الزريرية

---

(92) – ينظر : السلفيتي ، راجح ، ديوانه ، جامعة بيرزيت ، 1994 ، من مقدمة عبد اللطيف الزعوثي ، 17 .

(93) – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 118 – 119 .

(94)– طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 100.

يقول الشاعر :[91]

لا تكن إلا لمضربك الفسيح ...

وأجمل القصص التي قالت

بأن الخيل لا تهوى الغريب

أما الأغنية الفلسطينية فهي الوعاء الذي يحتوي على ضروب التراث الشعبي ، ففضـــلا عن اللهجة ؛ تجد فيها المكان والأدوات والأمثال وصورة العادات وصدى الحكايات .

لذا فالأغنية الشعبية تضطلع بمكانة هامة في التراث الشعبي .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الشاعر (المتوكل طه) لم ينشر شعرا عاميا حسب المجموعات التي صدرت لـــه ســوى بضع صفحات إلى المناضلة (سناء محيدلي) .

اختار الشاعر نمط الزجل ليكون قريبا من (سناء) ومن الشعب عامة الـــذي يجـد فـــي اللهجة العامية جسرا من التواصل يداعب الأحاسيس والمشاعر ، وربما يكون في الشعر الشـعبي

---

[91] – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 76 .

ومرجعيون والمية مية

... وصبرا الـــ غزلت جوا الأوظة

وردة حمرا وبدلة بيظا ...

تمثل هذه المقطوعة أنموذجا من الشعر الشعبي العامي كجزء مـــن الـــتراث الشـــعبي ؛ وتشكل الأدوات التقليدية في المناسبات الشعبية خيوط هذه الزجلية .

وبما أن الشاعر لم ينشر شعرا عاميا إلا القليل منه فإن هذه الزجيلة لا تشكل ظاهرة فنيـة من ناحية (الشعر الشعبي) ، لكنها صورة من صور توظيف التراث الشعبي في شعره .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وازدحام الأماكن والأسماء والإشارات سمة من سمات هذا الشعر ؛ وأخيرا فإن الشـــاعر وجد في الحياة الشعبية ملاذا وملجأ في وقت الغربة وضياع الميثاق المعهود ، بعـــد الاعـــتراف بالمغتصب ، جاء العصر الحديث وبالا على الشرفاء الغيورين على الأرض والهوية والمقاومـة ، تلك التي دفعت الشاعر ليوظف بساطة العيش الشعبي كمنجاة له ولشعبه من الضياع ، والاندمـاج في المجهول واللامعقول ؛ يأوي إليها كجزء من الماضي المقدس .

يقول الشاعر : [94]

برد (النبي صالح) الآن يحتاج جمر الكونين

والزيت والخبز والجبن والشاي

أين تروحين

عودي لئلا تظل القرى نائمة

إننا بعد هذا السلام انتهينا وحطت بنا

الحمأة الجارحة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثاني

الصورة الشعرية عند (المتوكل طه)

أولا - مفهوم الصورة الشعرية ومقوماتها وأهميتها

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ثانيا- أنواع الصورة الشعرية وأثرها في شعر (المتوكل طه)

أولا : مفهوم الصورة الشعرية ومقوماتها وأهميتها :

تعد الصورة الشعرية واحدة من أهم مميزات فن الشعر عن غيره من الفنون ، حتى فن الرسم نفسه لأن أدواتها في الشعر تختلف عنها في الرسم .[1]

والصورة في الأدب ، هي : الصوغ اللساني المخصوص الذي بوساطته يجري تمثل المعاني تمثلا جديدا ومبتكرا بما يحيلها إلى صور مرئية معبرة ، وذلك عدول عن صيغ إيحالية من القول إلى صيغ إيحائية .[2]

وما تثيره الصورة في حقل الأدب يتصل بكيفيات التعبير لا بماهياته ، وهي تهدف إلى تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس وتقويم الغائب إلى ضرب من الحضور.[3]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

"تستعمل كلمة الصورة -عادة- للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي ، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات .[4]

إن التصوير في الأدب نتيجة لتعاون كل الحواس وكل الملكات ، والشاعر المصور حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية ، وفي الإدراك الاستعاري خاصة تتبلور العاطفة الأخلاقية وتتحدد تحددا تابعا لطبيعته .[5]

---

(1) – طه ، المتوكل ، الساحر والحسد ، 236 .

(2) – ينظر ، صالح ، بشرى موسى ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1994 ، 3 (مقدمة د. عبد الله إبراهيم) .

(3) – المرجع نفسه ، 3 .

(4) – ناصف ، مصطفى ، الصورة الأدبية ، ط2 ، دار الأندلس ، 1981 ، المقدمة .

"وبالصور يدرك الفكر شعوريا ، ويغدو المنطق إيحاء ؛ والإشارة فتحا للمعرفة والملمح هيئة شاملة" .[6]

إن الصورة الشعرية الحديثة لها فلسفة جمالية مختلفة فأبرز ما فيها (الحيوية) ؛ وذلك راجع إلى أنها تتكون تكونا عضويا ، وليست مجرد حشد مرصوص من العناصر الجامدة ، ثم إن الصورة حديثا تتخذ أداة تعبيرية ، ولا يلتفت إليها في ذاتها القارئ لا يقف عند مجرد معناها ، بل إن هذا المعنى يثير فيه معنى آخر هو ما سمي (معنى المعنى) ، أي : أصبح الشاعر يعبر بالصور الكاملة عن المعنى كما كان يعبر باللفظة ، وكما كانت اللفظة أداة تعبيرية فقد أصبحت الصورة ذاتها هي الأداة .[7]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يبدو من خلال الآراء التي أوردتها عدة قضايا واستنتاجات :

فالصورة الشعرية ذروة الإبداع في النص ، وهي غاية ووسيلة في الوقت ذاته .

ففي الوقت الذي تتألف فيه خصائص لغوية ، وإيقاعات موسيقية ، وروافد ثقافية كوسائل فنية لخلق الصورة ، فإن الصورة ذاتها وسيلة التعبير المثلى والأقوى في العمل الأدبي ، وبها يمتاز عمل شعري عن آخر .

---

(5) – المرجع نفسه ، المقدمة .

(6) – كرم ، أنطوان عطاس ، ملامح الأدب العربي الحديث ، دار النهار للنشر ، بيروت ، 1980 ، 100 .

(7) – ينظر : إسماعيل ، عز الدين ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 88 .

يظهر أن فصل الصورة عن اللغة أمر صعب لكن الدراسة تحتم أن نقسم الإبداعات الفنية أقساما متعددة .

ولا يخفى من خلال هذه الآراء التي صدرت بها هذا الفصل أن الصورة الشعرية ذات تأثير فعال على وجدان المتلقي ، لأنها تنقل تفاعلات المبدع وتنصهر كلها في خلق أوج العمل الشعري المتمثل بالصورة .

إن دراسة الصورة الشعرية تأتي بدافعين :

الأول : أن الصورة تعبير عن نفسية الشاعر ؛ وأنها تشبه الصورة التي تتراءى في الأحلام .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والثاني: أن دراسة الصور مجتمعة قد تعين على كشف معاني أعمق من المعاني الظاهرية للقصيدة ، ذلك لأن الصورة وهي جميع الأشكال المجازية ؛ إنما تكون من عمل القوة الخالقة ، فالاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشعر .[8]

وللصورة الفنية عدة مصادر : التراث الذي يشكل المنابع الأولى لثقافة الشاعر ، وكذلك الطبيعة بكل ما تنطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر ، ومن أهم مصادرها : الخيال ، وهو قوة خلاقة تقلب قوانين الواقع والطبيعة ، وتمنحها قوانين خاصة وتستنهض ثقافة المبدع وتسترجع الحالة الشعورية التي عايشها في تجربته .[9]

---

[8] – ينظر : عباس ، إحسان ، فن الشعر ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ، عمان ، 1996 ، 200.

[9] – ينظر : غنيم ، كمال أحمد ، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، 207 .

والخيـــال تعريفه عسير ، لأن المصطلح يستخدم في أنواع مختلفة من العمليات العقلية ، إن ملكة الخيال غامضة لا يمكن تعريفها إنما يمكن معرفتها بأثرها .[10]

من خلال دراستي لشعر (المتوكل طه) وجدت أن الصورة الشعرية لديه جـــاءت مبنيـــة على أشكال مختلفة ومتعددة بما يشمل تقريبا معظم أنواع الصورة الشعرية وأشكالها كما يلي :

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[10] – ينظر : أمين ، أحمد ، النقد الأدبي ، ط4 ، دار الكتاب العربي ، لبنان 1967 ، 54 .

ثانيا : أنواع الصورة الشعرية وأثرها في شعر (المتوكل طه) :

1- الصورة المفردة ـ الجزئية :

وهي أبسط الصور الشعرية ومكونات التصوير الشعري من حيث اشتمالها على أهميـــة خاصة في التعبير عن قرينتها من الصور المفردة الأخرى .

أ- بناء الصورة المفردة عن طريق تبادل المدركات :

يتم ذلك بعدة وسائل وأساليب تحقق تبادل المدركات ، وأهمها :" التجسيد الذي يتم بخلـــع صفات محسوسة على المعنويات ".[11]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ونلمس كثيرا من نماذج (التجسيد) في شعر المتوكل طه ، ومن أمثلة ذلك :

يقول الشاعر :[12]

كم قلت : عذبك الهوى

فامسح دموعك

وهذه المقطوعة من قصيدة (السؤال الأخير لشرف الطيبي) ، يخـــاطب فيـــها الشـــاعر (شرف الطيبي) مجسدا إحساس العذاب في الهوى .

---

(11) – نفسه ، 256 .

(12) – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 27 .

صورة ارتبطت بالعذاب ، والشوق بالألم ، فالهوى أمل ، والعذاب ألم ؛ بـــهذا التجســيد استطاع الشاعر أن ينقل إلينا صورة الشوق والحب الذي يكابده ، وكابده (الطيبي) بصورة جذابــة تتصل بشعورنا وإحساسنا وتلتصق بوجداننا ، يقول الشاعر :[13]

وزوابع الصحراء تشوينا

وترمينا بنار قاذفة

وهي مقطوعة من قصيدة يصف فيها معاناة المعتقلين في سجن النقب الصحراوي ، وقــد أعطى الشاعر صفة (الشوي والإحراق) للزوابع الصحراوية .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بهذه الصورة يجسد الشاعر فيها صفة مادية (الحرق) في الزوابع التي تعصـــف بســـجن النقب ، مازجا بذلك بين الأدوات المعادية التي يوظفها المحتل لقمع الأسرى ، وبيـــن العوامـــل الطبيعية التي اختار العدو مكانا مناسبا لها لتعصف وجعا بحياة المعتقلين

لهذا النوع من الصور ، قول الشاعر :[14]

"أبحث عن لغة لم يطأها لسان "

فالصورة هنا بالغة الدقة ، حيث صورت النطق بالوطء ، أي لم ينطق بها أحـــد ، تلـــك اللغة المفقودة التي توازي حجم التغير والمآل .

---

[13] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 80 .

[14] – طه ، المتوكل ، ربيع النار المقبلة ، 92 .

والوطء صفة محسوسة يخلعها الشاعر هنا على اللغة أو اللسان ، بما ينقل إلى المتلقـــي صفة اللغة المرادة نقلا دقيقا في شأنه وشأن اللغة المرجوة ، لتكون البديل عن المباشرة المتداولـة ، والمستهلكة .

ويعد (التشخيص) الذي يتم بخلع الصفات الإنسانية على المحسوسات والمعنويـات مـن تبادل المدركات .

٥٨٠٨٤٥

ومن أمثلة ذلك ، قول الشاعر : [15]

"سلام على السجن يسلخ كل السنين "

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالسلخ بمعنى الفصل بين شيئين أو أشياء (الخلع والنزع) [16] من صفات الإنسان ، وقـد صور الشاعر السجن بأبشع تأثيراته الظالمة القاهرة للإنسان ، ومن أمثلة (التشخيص) كذلك قـول الشاعر : [17]

سلام على كل هذي المناديل

وهي تلوح مفجوعة حانقة

فالفجيعة والحنق [18] من صفات الإنسان وقد صور الشاعر تلك المناديل بأنها فجعـت ؛ مشركا إياها مع الإنسان في التعبير عن رفضه للواقع الأليم ، والتعبير عن الرفض هنا .

---

(15) – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 8 .

(16) – المعجم الوسيط ، مادة (سلخ) .

(التشخيص) هنا جعل التمرد على الواقع والتعبير عنه جزءا من الأدوات اللاإنسانية ممـا أضفى على تلك الأدوات عنصر الحركة الذي يجعلها تتوحد مع الإنسان في معاناته .

يقول الشاعر : [19]

تموت الحكايات في كل يوم

على منبت الصور والشعر

... ماتت مرايا الضلوع

كذلك فإن نسبة الموت إلى أشياء معنوية وحسية يحقق بناء صورة شعرية تقـترب مـن (الإيحاء) و (اللامباشرة) في أوج التعبير عن المكنونات الفكرية المصورة بلغة أدبية .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما الأسلوب الثالث لتبادل المدركات الذي يساهم في بناء الصورة الجزئية (المفردة) فـهو التجريد .

والتجريد تنهار فيه الفوارق بين ما هو مادي وما هو معنوي . [20]

ومن أمثلة ذلك في شعر (المتوكل طه) : [21]

لم يبتدئ بعد النشيد

---

[17] – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 9 .

[18] – المعجم الوسيط ، مادة (حنق) .

[19] – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 38 .

[20] – الجوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات ، 264 .

[21] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 35 – 36 .

إذا استباح هديلنا العالي النشيج

أو استكان الصوت خوفا

من تعدد موتنا تحت الحراب

فنقرأ : (استباح النشيج / استكان الصوت) فالنشيج مـــن المنظـــور الحقيقـــي لا يقـــوم بالاستباحة ، ونجد الصوت يستكين ، بمعنى ، يذل ويخضع .

ويقول الشاعر :[22]

والذئب يحكي الإنكليزي مثل درج الماء

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة [illegible]
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يتقن أكله الكافيار في البوينغ من روما

لتونس أو لقاهرة المعز إلى فرنسا

أو يسافر للوراء

فالحكي (الكلام) ليس من صفات الذئب ، وهذا ما يخرجنا من النطاق الحقيقي للفظ إلـــى الاستعارة (المجاز) .

ولولا (التجريد) لما اتضح الاستخدام المجازي للذئب دلالة على طائفة مفترســـة غـــادرة من الأمة .

---

[22] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 60 .

هكذا تتحقق الصورة من خلال أدوات ووسائل تعين على بناء النـــص الشـــعري بنـــاء متحركا ، معبرا يساعد على نقل الفكرة مغلفة بالأسلوب الإيحائي .

فللشعر أسلوب خاص في صياغة الأفكار أو المعاني يقوم على إثارة الانفعال واســـتمالة المتلقي إلى موقف من المواقف .

ب : بناء الصورة المفردة عن طريق (تراسل الحواس) :

يقوم تراسل الحواس على وصف مدرك حاسة بما توصف به مدركات حاسة أخرى، حيـــث يوصف المرئي بصفات المسموع ، ويوصف المشموم بصفات الملموس ؛ فتختلـــط الصـــورة ، مشكلة نوعا من التحدي والاستفزاز لذهن المتلقي ووجدانه . [23]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بتراسل الحواس في الصورة الشعرية تتوارى بعض العلاقات الطبيعية التي تربط بيـــن عناصر الواقع لتحل محلها علاقات أخرى مردها إلى ذات الشاعر .

وقد استخدم الشاعر هذه الطريقة في بناء الصورة المفردة ، مثال ذلك قوله في وصـــف توحد المعاناة والمشاعر بين الأسرى والأسيرات في السجون الإسرائيلية : [24]

ومن عندنا في لهيب الصحارى

ثلاثة آلاف واحة عشق

---

(23) – عليم ، كمال أحمد ، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، 213 .

(24) – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 36 – 37 .

تقد إليك نشيد النخيل

وتهدي إليك رحيق الحداء

وترسل عبر رداء الطيور

جراحات ناي المحبين

عطر الصهيل ووجه السماء

فتراسل الحواس يكمن فيما يلي : [25]

(تقد نشيد النخيل / رحيق الحداء / ترسل جراحات ناي المحبين / عطر الصهيل) ؛ فـللقد للنشيد الذي في أصله صوت يسمع ، والرحيق يشم ؛ لكنه هنا ينسب للصوت المنبثق عن الحـداء ، وكذلك الصهيل الذي يدرك بالسمع ؛ فينقله الشاعر إلينا عن طريق الشم (عطر) ؛ لكي يضفـي الشاعر على صوت الخيل صفة الرائحة العطرة تقريبا ؛ لرغبتنا في سماع صهيل الخيول التـي تشير إلى عنصر إعدادي في المعارك .

وبالطريقة نفسها عبر الشاعر عن شوقه إلى صوت حداء الرعاة ، صورة مـن الحريـة والعلاقة بالأرض ، بالرحيق الذي يشم .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[25] – جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات ، 271 .

ويقول بودلير عن هذا :" ما دام المقصود من العمل الشعري أن ينقل أثر التجربة من نفس إلى نفس وما دام بعض المدركات قادرا على أن ينقل الذاتي لمدرك آخر فإن من الطبيعي أن يستعير الشاعر من إحدى الحواس ما يجعله على معطيات حاسة أخرى فالنفس الإنسانية في جوهرها وحدة ترتد إليها وسائل الإدراك عن تعددها . [26]

من مظاهر (تراسل الحواس) في شعر (المتوكل طه) قوله : [27]

وأسأل : كيف تنام عصافير حزنك

في الليل

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كيف يغرد فيك الهزار نهارا

... ...

فنحن نواجه رمل المعسكر "بالآوف"

نكسر وحش الصحارى

بعرس انتفاضتنا

لا نكف عن الدبكات

ونغمر هذا المدى بالغناء

---

(26) – نفسه ، 8 ، 2 .

(27) – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 37 .

فنقرأ في هذه المقطوعة الصورة المفردة في : (نواجه رمل المعسكرات بالآوف / نغمر هذا المدى بالغناء) ، فالأوف : صوت والشاعر يستخدمه وسيلة مواجهة ، والغناء صوت ويستخدمه الشاعر كذلك كشيء محسوس ، وبهذا يستطيع الشاعر أن يصور تجرد الأسرى من أدوات المواجهة إمعانا في صورة الحصار الذي يعيشونه في المعتقل إلا من الغناء ، من أمثلة هذه الصورة كذلك قول الشاعر : [28]

سلام على الأرض يا ابن البتول .....

سلام على العسل الدافق اللاذع المر

جميع الحقوق محفوظة

ينهال من خطوات الذي سقط الآن تحت القباب ...

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ج - بناء الصورة المفردة عن طريق التشبيه والوصف المباشر :

وهو من أسهل الأساليب الفنية التي يستخدمها الشاعر في ابتكار الصورة الشعرية ، غير أنه أقل قدرة على الإيحاء إذا لم يحسن الشاعر إقامة وجه الشبه بين الطرفين ، " فالصورة تقترن بالرائع اقتران وجود [29]" ، لذلك لا بد من البحث عن طرفي تشبيه متناسبين ؛ حتى تتحقق الصورة الفنية بأوج إشراقها .

---

(28) – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 7 – 8 .

(29) – كرم ، أنطوان عطاس ، ملامح الأدب العربي الحديث ، 99 .

يقول الشاعر في قصيدة ارتجالية انفاعلية استجابة لاحتدام مشاعره حينما اقتحـــم جنـــود الاحتلال خيام سجن النقب : [30]

اعصف فإني عاصفة

ودماء قلبي راعفه

وجموعنا في كتصيعوت الموت

هبت واقفة

(إني عاصفة) ، (دماء قلبي راعفة) ، (كتصيعوت الموت) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالتشبيه مباشر ، لكنه يتماز بكونه غير مكرور ، فالشاعر لا يكرر صوره الشـــعرية ، ويميزهـــا أنها تتحد مع المرحلة والمكان .

فهذه المقطوعة في (سجن النقب) تحتوي على : عاصفة ، الموت ، ...

وهي من مفردات الحياة الاعتقالية .

وقول الشاعر : [31]

وآخر ما قرأنا في صحافتنا

بأن الذئب إنسان

---

[30] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 79 .

[31] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 61 .

ويكمن جمال الصورة في عكس المتوقع ، فمن الطبيعي أن يشبه الإنسان بالذئب إن كان ماكرا أو إغراقا من الشاعر في وصف نخبة أو أنموذج من المتخاذلين الماكرين .

وإن ما دفعني لاختيار هذا التشبيه هو التدليل على أن مرحلة ما بعد (أوسلو) دفعت الشاعر إلى البحث عن مفردات وصور تساوي الصفعة التي تلقاها .

ومنه قول الشاعر على لسان (هارون الرشيد) بعد الفتك بالبرامكة : [32]

أفزع من نومي كالملدوغ

وأمسح وجهي بالرحمن

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فقد شبه الشاعر الخليفة باضطرابه النفسي وارتباكه بالملدوغ ، وهي صورة موفقة لأن الملدوغ يمر بمجموعة أحاسيس يختلط فيها : الألم والخوف وسريان السم مهددا بالفناء وغير ذلك .

وتتكون إحساسات الشاعر نتيجة خبرات ذاتية سابقة له مع مواد مختلفة المصادر ، وعندما يلح عليه إحساس جديد بالنزوع يحرره المواد المختلفة المختزنة في مواطن التجربة من عقله وهو (الذاكرة) ليختار منها ما تمثله من صور . [33]

---

(32) – طه ، التوكل ، حليب أسود ، 26 .

(33) – صالح ، بشرى موسى ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، 63 .

والأمثلة كثيرة على هذا النوع من الصور المفردة الجزئية القائمة على التشبيه والوصف المباشر عند (المتوكل طه) يقول الشاعر : [34]

جسد في كوخه شب مثل السنابل

لكنه للحصاد المعد ،

سيأتيه منجله عن قريب

ويرميه في الخابية

فقد شبه الشاعر الجسد (الإنسان) بالسنبلة ، ينمو ويثمر ويكبر ويتيبس ، وشبه الموت بالحصاد الذي يتم بالمنجل .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويلحظ على هذه الصورة تداخل مجموعة من المتشابهات في تركيبة واحدة وامتزاجها ؛ وهي ميزة للصور الجزئية عند الشاعر حيث تلمس فيها انتقاء لعناصر التشبيه ، وأنه يضع الكلمة في مكانها من الصورة بدقة .

وقد مثل التراث الشعبي مصدرا لتدعيم أركان هذه الصورة فالمنجل والحصاد والخابية [35] من الموروثات الشعبية ، فيحقق الشاعر بهذا غرضين متداخلين :

الأول : وصف عبثية الزمن وأنه صراع لا بد في نهايته من الرحيل .

---

(34) – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 38 .

(35) – الغرفة التي يوضع فيها القمح والحبوب .

الآخر : أن وصف (الموت) استقاه الشاعر من معطياته الشعبية تأصيلا لهويته وعراقة بلده .

2- الصور المركبة :

هي مجموعة من الصور الجزئية المترابطة ، يوظفها الشاعر لأن الصور الجزئية غير المترابطة لا تستطيع أن تستوعب عاطفته وفكرته بصورة متكاملة .

وحينما نأذن للشاعر في أن يربط بين عناصره كيف شاء ؛ فإننا نفترض أن يقدم إلينا آخر الآمر تأثره بوحدة ما . [36]

فتبدو من ذلك الصورة المركبة لوحة مطرزة بمجموعة صور مفردة جزئية نسجت ألوانها وترابطت وتناسقت ؛ لتنقل لنا الصورة المركبة المبنية على حالتين متناقضتين في تصويره للسجن : [37]

جميع الحقوق محفوظة
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لا بأس !! فالسجن سهم يصيب المخابئ

في القلب يكشف سر الزمان الثقيل

ويجعل ذكرى الطفولة والعشق

أشهى العذاب

والسجن قبر بكل العصور

---

[36] – ينظر : جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات ، 278 .

[37] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 43 – 44 .

وفي عصرنا روضة للصغار الذي

أتوا في زوايا الإباء

ويبدو في هذه الصور الجزئية أن الشاعر رسم لنا حالتين متناقضتين في صورتين مركبتين :

الأولى : هي التي نظر فيها الشاعر إلى السجن على حقيقته المرة المؤلمة بالغربة والبعد والعذاب .

والثانية: حين يقول :" وفي عصرنا روضة " تعبيرا عن صلابة الإرادة ، وعنفوان التحدي ، والاتجاه المتفائل للمناضل الأسير.[38]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مع أن الصورتين متضادتان إلا أنهما في الحقيقة جانبان : مادي ومعنوي ، والصورة منهج فوق المنطق لبيان حقائق الأشياء ". [39]

وإذا أردنا الابتعاد عن صورة الداخل (السجن) وانتقلنا إلى صورة الخارج (الأمة العربية والإسلامية) ؛ فإن الشاعر بنى صورة لهذه الأمة في صمتها وتخاذلها واستسلامها أمام مأساة فلسطين .

---

(38) – ينظر : جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات ، 281 .

(39) – ناصف ، مصطفى ، الصورة الأدبية ، 8 .

يقول الشاعر :[40]

وأصبحت مثل الخراف

تساق للذبح للمحتم

-لا تمد ولا تشد -

وتستحم بذلها

تجتز ذل قبولها الصمت المريب ؟!

وهل أصدق أمة تستمرئ الذل البذيء ؟

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هذه الصورة المركبة التي سعى الشاعر من خلالها إلى استفزاز الكوامن الشعورية في الأمة لتعبر عن حالة من اليأس ، لا أستهجنها حينما أتذكر أن الشاعر كتب هذه القصيدة وهي ينزف ألما في عزل سجن النقب الصحراوي .

دعم الشاعر تركيب هذه الصورة بمجموعة صور مفردة ، مثل : (أصبحت مثل الخراف / وزاد في حسن تركيب الصورة إسعافها بالاستفهام المجازي الذي يعبر عن مدى استنكار الشاعر ودهشته من صمت الأمة أمام جرائم الاحتلال .

---

(40) – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 85 – 86 .

وقد ينظر إلى هذا النوع من التصوير على أنه منزلق يؤدي إلى زرع الإحباط في الأمة ، وأن الصور حينئذ تكون غير جميلة ، تنطوي على مشاعر الخيبة .

لكنني أنقل هنا كلام الأستاذ (مصطفى ناصف) لتوضيح هذه القضية :[41]

"أن الشاعر يجنح إلى نسق من الأشياء يخالف ما نرى وما نعرف من أجل الوصول إلى حقائق مستقرة باقية ، ومن أجل ارتياد دفائن وأسرار".

فنلحظ من هذا أن الشاعر له منظوره الخاص الذي يرى به الأشياء ، وله إحساسه الخاص الذي يفسر به ما رأى من أشياء ، كما أن الشاعر له طريقته الخاصة التي ينقل من خلالها إلينا تلك الأشياء .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فإذا ذهب فريق على أن مثل هذه الصورة تخلف حالة من اليأس والإحباط ، فإن فريقا آخر سيرى أن هذه الصورة تدفع الإنسان الفلسطيني إلى الاعتماد على نفسه ، وعدم الاعتماد على أي طرف .

وفي ميدان النقد السياسي لطبقة الحكام والمسئولين وصناع القرار يلجأ الشاعر إلى الموروث ؛ ليبني صورة مركبة ، بل عدة صور مركبة للحكام المتفرد المقدس المطاع ، مستندا

---

[41] – الصورة الأدبية ، 14 – 15 .

إذ ذاك إلى أسلوب المفاجأة أو ما يشبه المفارقة لكنها تختلف عن الأسلوب التقليدي للمفارقة في الشعر .

يقول الشاعر : [42]

وبوذا له زخرف الشهد لما يمد الطعام المنوع

من سمك البحر حتى النعاج الطرية والطير

ولا يأكل اللحم والشحم فالطير روح ، ولا يشرب

الزهر والخمر فالخمر روح ، ولا يبتدي أكله دون

جميع الحقوق محفوظة
مركز الجامعة الذين ينادونه من وراء الحدود
مركز ايداع الرسائل الجامعية

– وللشعب أن يمتطي الجوع عاما ، وعاما ليبقى من الجائعين –

والشاعر وضع لنا آخر سطر ضمن إشارة الجملة المعترضة ؛ لأنه يريد مواصلة تقديم الصور المركبة التي تصف لنا المفارقة بين حال الحاكم (النعيم) وحال المحكوم (الشقاء) ، ففي الصورة الأولى : (زخرف الشهد / الطير روح / وراء الحدود) .

وفي الصورة المقابلة : (يمتطي الجوع)

---

[42] – طه ، المتوكل ، ربيع الثاني المقبلة ، 8 .

وهنالك إسهاب في تصوير حال (الحاكم) ؛ وإيجاز في تصوير حال (المحكوم) ، وهـــذه ميزة أخرى للصورة المركبة القائمة على المفارقة عند (المتوكل طه)

وهكذا فاختيار وشخصياته ، وأسلوبه في الإيحاء ، وطريقته في رسم الأسطر الشـــعرية توازي التدفق العاطفي والفكري الذي يريد الشاعر أن يواجه به المتغيرات الجديدة .

ثمة ميزة أخرى للصورة المركبة عند الشاعر وهي الامتداد الموسيقي للصور الجزئيـــة المتماسكة صوتيا فلا تفلت منها حتى تدرك الصورة المركبة .

3- الصورة الكلية

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بما أن الصورة الفنية طريقة خاصة من طرق التعبير ، أو وجه من أوجـــه الدلالـــة [43]، فإن الشاعر يعمد إلى تنويع هذه الصورة خدمة للمعاني التي يسعى إلى قولها .

والصورة الكلية : هي مجموعة الصور المفردة والمركبة ، تشكل في النهايـــة القصيـــدة كلـــها مجتمعة .[44] ويتم بناء الصورة الكلية بوسائل عدة ، نجد منها عند الشاعر ما يلي :

يقول الشاعر :[51]

يخرجون - الشيخ في أولاده والمرأة

الثكلى وجارات الشهامة والملثم والمقمط

---

[43] – عصفورة ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي ، ط2 ، دار التنوير ، بيروت ، 1983 ، 232

[44] – ينظر : جوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات ، 281 .

والمطارد - بالحجارة والعصي بالفؤوس

يطوقون الجيش

يرشقهم بآلاف القنابل والرصاصات المميتة

يهجمون ويقتلون ويقتلون

وبالسكاكين المضيئة يطعنون

فهذه الصورة قائمة كلها على (الحدث الدرامي) ؛ حينما تقرأها تشعر بأنك تشاهد أحداثا في مسلسل ، صورة من صور المواجهة الشعبية في الانتفاضة ، واختيار الصورة الكلية بالأسلوب الدرامي أكثر توضيحا وتبيينا للمواجهة التي كانت تملأ الشوارع في مقارعة المحتل .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

من الصور الكلية القائمة على البناء الدرامي قصيدة (شعراء في حانة يتسامرون) ، ولا أريد إدراجها هنا ، نظرا لأنها تقع في عدة صفحات ، لكن الإشارة التي أردت الإلفات إليها أن القصيدة قائمة على (الحوار) وهو شكل من أشكال البناء الدرامي .[52]

تكثر استخدامات هذه الصورة في شعر (المتوكل طه) بسبب كونها تتم بعدة وسائل فرعية ، فضلا عن كونها تشتمل على ديناميكية تجعل المتلقي أكثر انشدادا لهذا النوع من غيره من الصور .

---

[51] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 15 – 16 .

[52] – ينظر : حليب أسود ، 44 – 51 .

ومما يلفت النظر في الصورة الدرامية التي في المقطوعة أعلاه أنها تبدأ من نقطـــة ثـــم تتصاعد (دراميا) حتى تصل إلى الذروة ، مثلما القصيدة التي تبدأ من نقطة ، فتكـــون الصـــورة ذاتها ذروة النص الشعري .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الفصل الثالث

اللغة في شعر المتوكل طه

أولا : اللغة الشعرية ، مفهومها وخصائصها .

ثانيا : المعجم الشعري عند المتوكل طه .

ثالثا : ظاهر لغوية في شعر المتوكل طه .

1-الجملة الشعرية ، نسيجها واختيارها .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

2-استخدام الألفاظ غير العربية .

3-استخدام الألفاظ العامية .

4-التضاد .

5-التكرار .

6-الترادف .

7-الأخطاء اللغوية والنحوية .

أولا : اللغة الشعرية ، ومفهومها وخصائصها :

" لكل صوت شعري مهما بلغ مداه نبرته المميزة ، يدركها المتلقي بعد أن يتعرف عليها ويستمتع بما فيها من عذوبة أو قوة ، من رقة أو رصانة مستقطرا من كل صفة حلاوتها الخاصة ومذاقها الجميل ".[1]

وبما أن الشعر طاقة يختلق بها الشاعر ما يمكن أن يكون إعادة خلق جديد لمنافسة الحلم في تنشيط الذات وتفريغ المكبوتات فإن إراحة نفسية من ضغوط غائصة يتنفس الشاعر من خلال اللغة ما يعيد توازنه النفسي إليه .[2]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الشعراء المعاصرون أدركوا أن الكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة يستتبع بالضرورة الكشف عن لغة جديدة .[3]

لكن لغة الشعر تختلف من شاعر لآخر ، حتى لو اجتمعا في عصر واحد ، وتماثلت مصادر ثقافتهما وبواعث إبداعهما ، حتى أن لغة الشاعر نفسه تختلف من قصيدة إلى أخرى باختلاف التجربة الجزئية .[4]

---

[1] – فضل ، صلاح ، سرات الخطاب الشعري ، دار قباء ، مصر ، 1998 ، 5 .

[2] – ينظر عيد رجاء : دراسة في لغة الشعر ، منشأة المعارف ، مصر ، 1979 ، 19 .

[3] – ينظر : الشرع ، علي ، لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي الحديث ، منشورات جامعة اليرموك ، الأردن ، 1991 .

[4] – ينظر : عنيم ، كمال أحمد ، عناصر الإبداع الفني ، . ص 104 .

وحينما تدرس لغة شاعر ما فإن متطلبات تلك الدراسة تحتاج إلى إطلاق العنـــان للفكـــر والخيال معا ، فمن البدهي أن مثل تلك اللغة لا تتوقف حدود دلالتها عند اللفظ أو قشرة اللفـــظ ، فضلا عن التطور الدلالي للفظ نفسه .

وإذا كانت اللغة في أساسها - بشكل عام - أكثر من مجموعة أصوات ، وأكثر مـــن أن تكون أداة للفكر أو تعبيرا عن عاطفة [5] فكيف تكون إذن اللغة الشعرية؟

إنها تختلف اختلافا بينا عن اللغة في الحياة اليومية ، فهي اللغة الفنية[6] نســـتخلص مـــن هنا ، أن لغة الشعر لغة مختارة تعبر عن أعمق التجربة وهي لغة راقية تعبر عن تجربة ذاتيـــة ، فالشعر فردي وإن كان يتجه إلى المجموع ، والشعر يستنفد في الكلمات كل طاقاتها التصويريـــة والإيمانية والموسيقية في نقل الخبرة الجديدة للقارىء ، ومؤثرات الشعر تنبع من أعماق الشـــاعر [7]فاللغة الشعرية هي التي تنتهك قوانين اللغة من أجل تفجير الطاقة الكامنة في اللغة .[8]

لأن الشاعر في هذه اللغة لا يسمى الأشياء بأسمائها ، بل يدع الإيحاء يـــأخذ دوره فـــي الكلمة ، فيثير فينا عند استعمالها شعورا وجدانيا ، وقدرة الشاعر في لغته الشعرية تقاس بمقـــدار

مكتبة الجامعة الاردنية

---

(5) – ينظر : إبراهيم د . رهير ، مقدمة في فقه اللغة العربية ، ط2 ، مكتبة محمد الثقافية ، الخليل ، 1995

(6) – ينظر : الصباغ ، رمضان ، في نقد الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، دار الوفاء- مصر 1998، 146 .

(7) - المرجع نفسه ، 146 – 147

نجاحه في عمل هذا النظام الجديد في لغته الشعرية ، كما أن التنافر فيما بين المعنى الفكري والمعنى الإيحائي العاطفي للكلمة الشعرية هو الذي يعطي للشعر الحديث صفة الغموض .[9]

ثانيا : المعجم الشعري عند المتوكل طه :

حينما يدرس المعجم الشعري عند أي شاعر فإن ذلك لا يعني أن الألفاظ التي تبني معجمه الشعري كانت حكرا عليه دون غيره من الشعراء الفلسطينيين في الوطن أو في المنفى ، لكن تتبع هذا المعجم والتطور الذي انماز به ، يشكل ظاهرة فنية تسلح بها الشاعر على مستوى المراحل التي مر بها .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كما أن اللفظة نفسها قد تستخدم عند شاعر بدلالة تختلف إيحاءاتها عند شاعر آخر مثل كلمة (صحراء) التي تطور مدلولها عند (المتوكل طه) نفسه بين أرض سجن النقب وبين تشلؤمه من مرحلة معينة نعتها بالصحراوية إشارة إلى الجذب والمحل والقحط .

وعلى الرغم مما قد يتبادر إلى الذهن من أن مفهوم المعجم الشعري لا يحتاج إلى تحديد ، فإن التعريف به وتحديد ما يعنيه يظل أمرا هاما ، لأن بعض الدارسين يرى أن هذا المصطلح يهتم فقط باللفظة المفردة التي يختارها الشاعر ، دون أن يتعداها إلى إطار الجملة ، أو ما يثيره

---

[8] – ينظر سلسع ، جمال ، الظاهرة الإبداعية في الشعر الفلسطيني الحديث ، مطبعة المعارف 1994، 15

[9] – المرجع نفسه 156

التعبير مفردا ، أو مجموعا في الذهن من انفعالات ومعان وصور ، ومعروف أنه في النـــثر أو في الشعر لا تبقى اللفظة منعزلة عما يجاورها من الألفاظ في الجملة ، كما أن مجاورتها لغيرهـا من الألفاظ لا تبقيها هي والكلمات التي تجاورها ألفاظا مجردة ومنعزلة عما أريد لها أن تعملـــه من معنى أو معان . [10]

فالمعجم الشعري جزء من دراسة الطبيعة الجمالية للشعر .[11]

"واللفظ العادي قد يكتسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيـــب شـــعري أو صورة بيانية". [12]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إذا ما انتقل الحديث إلى تناول معجم (المتوكل طه) الشعري ، فإن أول ما يلفت النظـــر في هذا المعجم أنه استفاد من الألفاظ السائدة في الحياة اليومية التي لها علاقة بالموروث الشـعبي في مجموعاته الأولى [13] وهي ألفاظ تتصل بشكل عميق بالحياة القروية في فلسطين[14] ، مثـل[15] أوف ، الميجنا ، الدبكات ، البيارة ، البيادر ، الموال ، وشمة ، الحناء".

---

(10) – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 219 .

(11) – مندور ، محمد ، الأدب وفنونه ، 37 .

(12) – المرجع نفسه ، 37 .

(13) – يلحظ ذلك بوضوح في : مواسم الموت والحياة ، وزمن الصعود ، وفضاء الأغنيات .

(14) – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 219 .

(15) – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، وزمن الصعود ، وفضاء الأغنيات .

وفي الديوانين : (زمن الصعود 1988م) (فضاء الأغنيات1989) كانت ألفاظ الثورة الشعبية (الانتفاضة) تملأ قصائد الديوانين ؛ خاصة ألفاظ المعتقلات والسجون ، فالشاعر أنجب هذين الديوانين في أثناء فترات اعتقاله في سجن النقب الصحراوي ، ومن أمثلة ذلك[16]" لهيب ، الصحارى ، رمل ، المعسكر ، وحش ، انتفاضة ، دمعة أنصار ، الرعب ، زغرودة ، جوع ، زنازين ، الصرخات ، السجن ، غاز ، القيد ، عتمات ، سجون النساء ، المخابئ ، العذاب ، قبر ، زوايا ، حرب ، نفي ، حرق ، العواصف ، قلاع ، العراء ، شوق ".

ويمكن أن نلحظ أن الشاعر وازى بين ألفاظ المعاناة من جهة ، وألفاظ الأمل من جهة أخرى ، كما أن صبغة التحريض ورفع المعنويات واضحة في ألفاظ الديوانين إلا أن الديوان الثالث (فضاء الأغنيات) كان ملحمة من الاحتقان ، ومعلقة في التنظير وشحن النفوس ضد البلاء ، لذا فقد عمد الشاعر إلى انتقاء ألفاظ معجمة انتقاء دقيقا ، وهو فعلا يمتلك اللغة التي تؤهله لسلامة الانتقاء ، من أمثلة ذلك [17]:

"العارم ، الهدار ، حجارة ، دم ، رصاص ، تفجير ، استشاط ، الملثم ، حارت ، النيران ، المولوتوف ، الكبريت ، جهنم ، الإطارات ، العصى ، المطارد ، الفؤوس" . فهذه الألفاظ تتبع من صلب حياة الواقع في فترة الانتفاضة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

[16] طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 36 – 45 .

[17] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 13 – 15 .

وحرص الشاعر في تنسيق معجمه على إبراز شعبية الانتفاضة الأولى ، لكي يوضح أن ما يتعرض له الشعب الفلسطيني هو حرب إبادة ناجم عن انعدام التوازن في العتاد والإمكانات ، ومن أمثلة ذلك [18]:" الشيخ ، أولاد ، المرأة ، الثكلى ، جارات ، الفؤوس ، السكاكين ، الأزقة ، المدارس ، الكنائس ، صفيح ، الجوامع ، الحوش ، النوافذ ، أمامك ، خلف ظهرك ".

وحينما نعود إلى النص الذي انتسجت فيه هذه الألفاظ سنجد أن الشاعر وضعها في تراكيب وتعبيرات وصور تستجيب للغة التي أراد لها أن تتناسب مع وهج الانتفاضة ، فهي ألفاظ مشبعة بعنصر الحركة ، بل إن عنصر الحركة يلعب فيها دورا كبيرا ، فهي تفعيل لدور الانتفاضة ، لأن التحدي والمواجهة خيار الفلسطيني الأول على أرض وطنه ، لا يملك خيارا غيره يعيد إليه تلك الحقوق التي سعى من أجل تحقيقها بتاريخ من التضحيات الجسام التي لا حصر لها حتى لتجد نفسك وجها لوجه مع العدو في دورة المقاومة . [19]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد لاحظ (الأستاذ عادل أبو عمشة) أن ثمة تطورا في مدلول بعض مفردات المعجم الشعري عند (المتوكل طه) ، فالحجر في أوائل الثمانينات لم يكن سلاحا يوميا مكثفا ضد جيش الاحتلال ؛ ولم يستعمل بشكل شعبي كبير ، لكن في الانتفاضة الشعبية الفلسطينية (1987م) أصبح

---

[18] – طه ، المتوكل ، السابق ، 13 – 18 .

[19] – ينظر : التميمي ، د. سمير شحادة ، الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة ، 40 .

الحجر سلاحا فعالا ؛ واستعماله أصبح ظاهرة جماعية مارسها الصغار والكبار كذلك ، يقول الشاعر [20]

يخرجون - الشيخ في أولاده والمرأة

الثكلى وجارات الشهامة والملثم والمقمط

والمطارد - بالحجارة والعصي وبالفؤوس

كما أن هناك مفردات أخرى وردت عند الشاعر قبل الانتفاضة ، ثم أضاف إليها في أثنائها مفردات أخرى للتدليل على سعة انتشارها ، فبعد أن أورد مفردات مثل الشوارع والطرق والمخيم حيث كانت فعاليات المواجهة مع المحتل ، أضاف إليها الشاعر بعد الانتفاضة أماكن أخرى أفقيا مثل : الجبال ، الجبهات ، الحواري ، النوافذ ، الأزقة ، المدارس ، الجوامع ، صفيح الجمر .[21]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

واختيار هذه الألفاظ مهمة غير يسيرة ، فاللفظ يجب أن يكون سمحا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة .[22]

كما أنه لم يفت الالتفات إلى أن الشاعر وازن بين ألفاظ تدل على وسائل الشعب الفلسطيني في المقاومة ، وما يقابلها لدى جيش الاحتلال ، فحينما كان الشعب يستخدم الحجر

---

(20) طه ، معناء الأغنيات ، 15 .

(21) – أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 222 .

والمتراس والمظاهرة السلمية كان الجيش المحتل يقابله بالرصاص وإغلاق المؤسسات التعليمية ، وحينما يذكر الشاعر استخدام الشعب المنتفض لوسائل أكثر تطورا مثل النيران والمولوتوف والإطارات وتطويق الجيش الإسرائيلي ؛ فإن العدو يظهر بالمقابل مستخدما القنابل والرصاصات المميتة وإسقاط الأجنة ، والرشاشات والمذابح والدبابات والهدم والقتل...[23]

وينبغي أن نلحظ أن التطور الذي يحدث في وسائل الشعب الفلسطيني لا يمكن مقارنته بفاعلية ما يقابل الاحتلال به هذه الوسائل البدائية .

وهكذا يستطيع الشاعر من خلال غربلة الألفاظ واستصفاء الأنسب طرح القضية الوطنية بأسلوب فني لائق .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وإذا ما تقدما لمطالعة ديوان (رغوة السؤال 1992م) فلا بد من الإشارة إلى أن هذا الديوان يمثل في لغته نقطة تحول هامة وهو مفصل تحول في المؤثرات والعوامل التي ساهمت في تطور المعجم عند (المتوكل طه) .

ففي هذا الديوان بقايا تجربة الشاعر في المعتقل ؛ ففيه بضع قصائد كتبت في آخر أيام اعتقال الشاعر في سجن (النقب) [24]، وكذلك صدى حرب الخليج التي انتهت عام (1991م) تاركة الإحباط والانتكاس والدمار ، والأهم من ذلك كله هو تباشير السلام والتسوية مع العدو ؛ بانعقاد

---

[22] – ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة ، نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتب العلمية – بيروت ، 74 .

[23] – ينظر : أبو عمشه ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 222 – 223 .

(مؤتمر مدريد) في أواخر العام (1991م) ، والاعتراف لأول مرة بحق العدو في العيش كدولة مستقلة على تراب فلسطين المغتصب قبل عام (1967م) ، فالمرحلة أصبحت تتطلب لغة بمستواها ، فإن لكل تجربة لغتها فالتجربة الجديدة ليست إلا لغة جديدة أو منهجا جديدا في التعامل مع اللغة .

والتجربة الجديدة تخلف ظروفا جديدة وملابسات أخرى ، ففهم الألفاظ عن طريق الوقوف على تلك الأحوال عملية تتم مثل فهم النص. [25] فالوقوف على ذلك الظرف يعطي مؤشرات تضيء هذا النسيج اللغوي للنص .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لذلك كان لابد من الإشارة إلى عوامل تطور ذلك المعجم في هذا الديوان وما بعده .

لقد تكررت في الديوان بعض ألفاظ السجن والثورة بعدد أقل عما قبله ومن هذه الألفاظ :

"السجن ، التراب ، الثأر ، موج " كما ظل للموروث الشعبي حضوره مثل :" الروابي ، الطوابين ، الحناء ، الديوان " لكن الألفاظ الجديدة هي التي سادت القصائد الجديدة ، وهي ألفاظ منسجمة مع المرحلة وتوحي بالشؤم أو الإحباط من القادم ، ومن هذه الألفاظ[26]:" التساؤل ، رغوة ، الخائن الوطني ، التراب المباع [27]، تنازل ، انقلاب ، الموازين ، أريحا ، باعوا ، ذبح

---

(24) – طه ، المتوكل ، رمل الأقحى – سيرة معتقل أنصار 3 (النقب) ، 178 .

(25) – ينظر : أنيس ، إبراهيم ، دلالة الألفاظ ، ط7 ، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر – 1993 ، 45.

(26) – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 5 - 30 .

(27) – مباع خطأ لغوي ، فهي اسم مفعول على صيغة (مبيع) لأنها مشتقة من الفعل الثلاثي (باع) .

، مدريد ، لغة الظل ، نسينا ، مسخ ، التعايش ، السلام ، الكوابيس ، الدمار الجميل ، القارعة ، الموت ".

وقد تكررت لفظة (الموت) عشر مرات ، وكلمة (السلام) ست مرات ، وكلمة الفاجعة أربع مرات وكذلك تكررت كلمة (حلم) أربع مرات.

ولعل التجديد في اختيار الألفاظ في معجم الشاعر جزء من تفهمه للحياة المتغيرة أو المتطورة وهو لن يستطيع فهمها من الخارج ، كما هو من داخل التجربة ومعاناتها وانخراطه فيها ومعايشته لأحداثها وتطوراتها .[28]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي أول ديوان صدر للشاعر بعد (اتفاق أوسلو) ديوان (ريح النار المقبلة 1995م) فقد بدت ألفاظ الديوان قسمين :

الأول : ألفاظ مستمدة من الموروث التاريخي ذوات دلالات معاصرة في نسيج النص مثل[29]: "المعبد ، الفرس ، الموقد ، المجاريث ، تماثيل ، الذهب ، أمير التبتل ، الدمقس، اللازورد ، الزبانية ، اللؤلؤ" ، وهي ألفاظ وردت ضمن قصيدة بعنوان (بوذا) أشرت إليها في فصل التواصل بالتراث .

---

[28] – ينظر : الورقي ، السعيد ، لغة الشعر العربي الحديث – دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1997 ، 26 .

[29] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 5- 12 .

الثاني : ألفاظ تدل على مرحلة التسوية مع المحتل ومعارضة الشاعر لهذا المشروع ومن هذه الألفاظ [30]: " الليل ، الغامض ، الذابلة ، صحراء ، السقوط ، الدروب ، التفاوض ، الذئب ، التسليم ، الضياع ، الوحول ، الغضب ، الغاربة".

يلحظ أولا في هذا الديوان غياب ألفاظ الثورة ، والانتفاضة التي شلت بالعملية السلمية، كما غابت ألفاظ الأمل والنشوة بالنصر وغيرها .

وقد تكررت بعض ألفاظ المرحلة مثل (الليل) التي وردت أربع عشرة مرة "كدلالة على أن المرحلة غامضة تشبه النفق الظلم ، كما أن لفظه (النسيان) تكررت عشر مرات وهي دلالة على أن الشاعر يرى في المسيرة السلمية قبرا للذاكرة الفلسطينية ، ووأدا للتضحيات والحقائق التي دفع الشعب ثمنها غاليا .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كما تكرر ذكر (غزة وأريحا) ست مرات وهي المحطة الأولى للحكم الذاتي في فلسطين ، وتكررت لفظة الصحراء سبع مرات وهي نعت شؤم ضد المسيرة السلمية وتكررت لفظتا (السقوط والتفاوض) أربع مرات ؛ إلا أن ألفاظ السجن والزنازين والموت بقي لها حضور ، لكنها لا تسود المجموعة ككل ، وتظل تمثل روحا تشاؤمية في أعماق الشاعر عن تلك المرحلة.

---

[30] – نفسه ، 18 . 30 . 60 . 89 . 95 .

أما الألفاظ التي وردت في معجم (رغوة السؤال) وتكررت في (ريـــح النـــار المقبلـــة) فأهمها (السلام) ، وقد تكررت تسع مرات وتكررت (الكوابيس) ست مرات .

وقد استدعى الشاعر شخصيات تاريخية وبدأ يجنح نحو هذا المسار منذ (1995م) ودلالـــة ذلك تناولها في فصل التواصل بالتراث ؛ أما ديوان (أو كما قال) فهو مجموعـــة مختـــارة مـــن دواوين الشاعر السابقة له ، باستثناء ثلاثين مقطوعة صغيرة تكررت فيها ألفاظ مثـــل [31] الليـــل أربع عشرة مرة ، ومن الألفاظ التي أثرت معجمه الشعري في هذا الديوان " الموت ، الانحنـــاء ، البستان" ؛ وتحتفظ هذه الألفاظ بصبغة الواقع المرير .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لكن الديوان الذي أصدره الشاعر بعد هذه المجموعة المختارة يختلف في علاقته بما قبله ، فهو ملحمة تستمد مادتها اللغوية مما كان في لغة العرب في العصـــر العباســـي حينمـــا عمـــد الشاعر إلى قصة البرامكة مع (هارون الرشيد) ليتخذ منها قناعا لما ارتآه في البطانـــة المحيطـــة بالقائد في فلسطين ، ومن تلك الألفاظ [32]: " السلطان والحاكم ، مولاي ، العـــرش والكرســـي ، الموت ، الخليفة (الديوان ، الخمر ومشتقاته ، القصر ، برامكة" . وهي مفـــردات تجنـــح نحـــو الارتقاء إلى المستوى السياسي الجديد .

---

(31) – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 26 – 38 .

(32) – طه ، المتوكل ، حليب أسود ، 6 ، 7 ، 8 ، 20 ، 44 .

وقد تكررت في الديوان لفظة (الحاكم) ، وما يدل عليها كالسلطان ومولاي أربع عشرة مرة ، والموت ثلاثا وعشرين مرة ، و (الكرسي أو العرش) ثماني مرات ، و (الخليفة) إحدى عشرة مرة ، و (النار) إحدى عشرة مرة ؛ وهي ألفاظ عمل الشاعر من خلال التراكيب القائمة بها على تصوير الفساد الإداري والمالي في المؤسسات الفلسطينية .

تتميز هذه الألفاظ بأن المتلقي يستطيع قراءتها على عصرين إذا ما حذف العنوان ، مثال ذلك قول الشاعر : [33]

"مزق الثوب ، إني انتضيت ثيابي ، جلودي التي

سكنت ألف عام ثلوج الحنين ، أنا لو تمزقني تحت أنياب

فكيك تمنحني رعشة الانبهار على لحظة الكشف أو ذروة المستحيل"

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد شكلت هذه الألفاظ ملحمة إلياذة فلسطينية .[34]

وتمنح هذه الألفاظ عبقها التاريخي حينما تكون ضمن السياق بالاتكاء على ذلك الموروث ؛ ولكن كلمة مثل (القصر) لا تتضح مدلولاتها حينما تكون مجردة هكذا .

أما الديوان الأخير للشاعر (نقوش على جدارية محمود درويش) فقد اختلفت فيه الألفاظ لاختلاف المعاني ، فهي ملحمة شعرية تدور حول عقدة الحضور / الغياب ، الحياة / الموت

---

(33) – طه ، التوكل ، المصدر السابق ، 11 .

(34) – ينظر : حسونة ، خليل ، أم هكذا يرشف الحليب ، مجلة الشعراء ، ع 6 – 1999 ، 110 .

،وجدلية العلاقة بين الإنسان والزمن ، على الرغم من أن العنوان (نقوش) على صلة بـــالخصب كمحاولة لمواجهة النقيض .

ومن الألفاظ التي تعبر عن ذلك في الديوان [35]: " موت ، يبـــاس ، الخلـــود ، الغيـــم ، الزلزال ، برادي ، البرق ، مطر ، الفراغ ، رعب ، وطواط ، النعاس ، سود ، الخرساء ، الدنيـا ، الروح ".

وأهم ما يلفت الانتباه أن كلمة (الموت) تكررت أكثر من إحدى وعشرين مرة ، مقابلـــة كلمة (الحياة) التي تكررت ست مرات ؛ وكلمة (الدنيا) كذلك تكررت ست مرات مقـــابل خمـــس مرات لكلمة (الروح) ؛ بما يدعم نظرية الخيبة من مرارة النهاية ؛ وهي ألفاظ تقود إلـــى تلمـــس صدى فلسفة الوجود ومقاومة الغياب ، غياب النفس والآمال ، والحلم الوطني في الحياة .

جميع الحقوق محفوظة
مركز تنمية الخيبة من مرارة النهاية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هذه ملامح المعجم الشعري عند الشاعر ، جاءت رصينة متناسقة ، تتجاوب مع المرحلـــة ، أي مرحلة لها قاموسها ، وقد يتكرر اللفظ ولكن بدلالة أخرى ، ويلحظ أن لفظة (الموت) كـــانت كثيفة الحضور على امتداد تجربة الشاعر ، ولكل مرحلة تفسير للموت يعطي الشاعر ملكة نفـــوذ في ميدان اللغة العربية .

---

[35] — طه ، المتوكل ، نقوش على جدارية محمود درويش ، 7 ، 9 ، 15 ، 25 ، 33 ، 35 .

ثالثا : ظواهر لغوية في شعر (المتوكل طه)

1-الجملة الشعرية ، نسيجها وتوظيفها :

قد لا يكفي النظم والمضمون الشعري والملكات الخالقة لتمييز النـــص الشـــعري ، لأن الشعر يعد دائما فنا جميلا لا في بنائه وحده ، بل وفي تفصيلات أسلوبه التعبيري ، فبعض النقـاد يرى أن العبرة ليست بمفردات اللغة ، بل بجمالها وتراكيبها .[36]

فنوع الجملة والغرض منها لهما دور في بناء ذلك الأسلوب التعبـــيري وتعـــد دراســـة الجمل في النحو العربي من الدراسات التحليلية اللغوية التي تقف بنا على ملامح خاصة للشـــاعر ، إذ تعد اللغة الشعرية معيارا هاما من معايير تقييم الشعر ، والجملة هي أكـــبر وحـــدة يمكـــن التعامل معها في التحليل اللغوي ؛ وتتمثل بالجملة الاسمية والجملة الفعلية . [37]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كما أن الجملة العربية ليست جامدة ؛ ولكن لها أشكالا متعددة ، وتتميز بأنها مرنة حيـــث يجوز تقديم كلمة على كلمة ، أو إضافة كلمة إلى التركيب ، لتضفي معنى جديدا .

---

(36) – ينظر : منذور ، محمد ، الأدب وفنونه ، 37 .

(37) – ينظر : عبد الرحيم ، جمال ، اللغة في شعر عبد الرحيم محمود ، رسالة ماجستير ، مخطوطة ، جامعة النجاح الوطنية ، 1996 ، 69 .

فحينما نتتبع الجملة في شعر (المتوكل طه) ؛ فإنه لا بد من الإشارة بداية إلى أن الشاعر يكتب بلغة عربية فصحى وأن لديه جملا صالحة أو قابلة للدراسة واستكشاف مدلولاتها ؛ ولم ينشر في مجموعاته كلها شيئا باللهجة المحلية أو اللغة العامية سوى قصيدة واحدة .[38]

ففي الديوان الأول (مواسم الموت والحياة) نجد أن الشاعر مال إلى استعمال الجمل القصيرة سواء أكانت اسمية أو فعلية ، كما يلحظ أنه بدأ بعض قصائده أو مقاطع فيها بالجمل الفعلية ، ثم استغرق في سرد كثير منها معتمدا على حروف العطف للربط بينها ، وقد أورد خلال ذلك بعض الجمل الاسمية ، ثم فعل العكس .[39]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد استعمل الشاعر في مطالع قصائده الأربع والعشرين في هذا الديوان الجملة الاسمية ثلاث عشرة مرة ، في حين استعمل الجملة الفعلية لافتتاح النص إحدى عشرة مرة .

وعلى سبيل المثال استعمل الشاعر في القصيدة الأولى الجملة الاسمية خمسا وثلاثين مرة ، في حين كان نصيب الجملة الفعلية سبعا وعشرين مرة .

وإن كان عدد الجمل الاسمية يزيد بضع جمل عن الفعلية إلا أن ثمة توازنا بين النوعين عند الشاعر سواء أكان في المطلع أم في النص .

---

(38) – تنظر في زمن الصعود ، 113 .

(39) – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 228 .

لكن الدلالة التي تحضر الآن هي أن البدء بالجملة الفعلية أقوى من البدء بالجملة الاسمية ، فلا يخفى ذلك من خلال تعريف النحاة للنوعين ، فالاسم عندهم " كلمة دلت على معنى في نفسها ولم تقترن بزمن ". [40]

أما الفعل فهو " الحدث المقترن بزمن "

"فالأسماء كلها مجردة من الزمن ومن الحركة ومن العاطفة ، مثلها في هذا الصفات ، إن وجودها جامد لا ينمو ولا يتغير ولا تأثير لها في مشاعرنا ، وليست كذلك الأفعال ، هنا في الأفعال يمتد مجال الإنسانية وتعيش أحاسيسنا وحركاتنا وتقلباتنا وحياتنا كلها ".[41]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتضرب نازك الملائكة مثالا على ذلك قولنا: (جاء)، فنرى أن الفعل (جاء) يمتلك من الحياة الزاخرة ما لا يملكه ألف اسم وألف صفة ، هذه الحركة التي ينطوي عليها فعل المجيء ، وهذه الإنسانية الكاملة التي يتضمنها وهذا الزمن الذي يختبئ في ثنايا الحروف ، كل ذلك يميز الفعل ، ويجعله أوثق ارتباطا بالحياة نفسها ؛ ولذلك ترى أن الفعل أشرف ما في اللغة وعليه تستند الجمل والعبارات وتخلص إلى أن الفعل هو إنسانية اللغة . [42]

---

(40) – الصنهاجي ، محمد بن محمد بن داوود ، الجرومية ، ط1 ، دار المشاريع – لبنان ، 1993 ، 17 – 18 .

(41) – الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، 293 .

(42) – ينظر : المرجع نفسه ، 293 .

إن التوازن بين الجمل الاسمية والفعلية في ديوان (مواسم الموت والحياة) يتناسب مع واقع تلك المرحلة ، فهي مرحلة كانت تتأرجح بين النشاط السياسي التنظيري من جهة ، والهبات الشعبية الثائرة من جهة أخرى .

أما في المرحلة التي تزامنت مع صدور مجموعات الانتفاضة (زمن الصعود) و (فضاء الأغنيات) ؛ فيلحظ أن الشاعر اندمج في عنصر فعال من الحركة دفعة إلى تعبئة قصائده بالجمل الفعلية وهي جمل متناسقة مع ذروة الأحداث ، وهيجان الشارع الفلسطيني كما تدب النار في الهشيم ، ففي القصيدة التي صور فيها الشاعر همجية الاحتلال في أثناء اعتقال أحد أشقائه يقول: [43]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يجيئون في الليل

يسطون مثل الأفاعي على الحي

ينتشرون على أسطح العشب

تبرق بعض العيون ، وتصحو القلوب

ثم يكمل المشهد بعشرات الجمل الفعلية التي تصور تحركات الجيش ، واستفزازاتهم وتخبطهم ، وهمجيتهم ، واضطرابهم مثل : [44]

---

[43] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 99 .

[44] – نفسه ، 100 ، 101 .

"تحيط ، تغلق ، تشعلل ، يعبر ، تمشي ، تجفل ، تنهار ، حسبوا ، تزداد ، تكسر ، يصرخـــون ، افتحوا ، يفتح ، ينظر ، يدخل ".

ويمكن ملاحظة ميل الشاعر ، بل اهتمامه الشديد بأن تكون الجملة معتمدة ومستندة إلـــى لغة حساسة متماسكة ، وأعني بالحساسة تلك الجملة التي إذا حذف منها شيء من مركباتها فـــإن المعنى يختل ، أما الفائضة ، فهي التي فيها حشو واكتظاظ يمكن الاستغناء عن مفرداته في كثـير من مواضعهما ؛ فتوظيف الجمل الفعلية جاء ليبني نصا دراميا فعالا في المعنى ، وهـــو إظـــهار البشاعة والفظاعة في ممارسات المحتل .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يظهر ذلك بوضوح في مطولته (فضاء الأغنيات) إذ لا يقف الأمر عند تـــأثير انتفاضـــة الشعب الفلسطيني ، بل ساحة المعتقل الصحراوي وما يتخللهما مـــــن صدامـــات مـــع المحتـــل ونشاطات مكثفة للطرفين ، إلى جانب حركة الدخول والخروج التي انسجمت مع تكثيف الجملـــة الفعلية في النص ، مثال ذلك : [45] أنه يبدأ الملحمة بقوله :

نقول : قد بدأ ، وابتدأت ، تصاعدت ، ترنق ظلوا ، تجملت ، ازدانت ، تستجيب ، تفجـــو ، فاض ، غلى ، تعالى ، استشـــاط ، مـــارت ، زلزلـــت ، تراقـــص ، تفرقـــع ، اصطـــهدت ، يخرجون،... "

---

[45] – طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 13 ، 14 ، 15 .

ويعلق - الأستاذ سمير التميمي - على ذلك قائلا :[46]

"صورة (قصة) تضج حركة وحيوية ونشاطا وظف فيها الشاعر أدواته الفنيـــة ، وصـــب فيـــها مشاعره صبا ، ورسم معالمها جيدا عن طريق الأفعال الموحية الدالة فجعل كل صورة جزئيـــة من الصورة ".

فيظهر من خلال هذه الإشارة كم هو صعب الفصل بين التداخل في انصـــهار العنـــاصر الفنية للعمل الأدبي فاللغة تخدم الصورة ، والصورة جزء من البناء الهيكلي للنص ، والأســـلوب يعمق كل هذه العناصر ليخرج النص بأجمل أشكاله ؛ وهو في الخلاصة تقديم الفكرة أو المعنـــى بأجمل الطرائق ، لكن وتيرة هذه الحركة والانفعالية خفت حدتها حينما طفق عصر الهدوء يحـــل على المنطقة في وقت سعى إلى التخلص من إغراء اللغة لنحتها وتصفيتها وتكثيفها ، وصـــارت الجملة مرتبطة بفكرة وجودية ، كما يلحظ أن الشاعر مضى إلى تخليص الجملـــة مـــن تكـــرار الأفعال وجعلها أقرب إلى الجملة الاسمية وهذا واضح في مجموعاته الأخيرة.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الشاعر : [47]

من مر فوق العشب ؟

- عصفور صغير لا يطير

---

[46] – الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة ، 23 .

[47] – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 20 . ؟

كيف الرصاص - إذن- أتاه على الغصون ؟

- أعشابنا كبرت وصارت غابة

وهنا النوافذ شمسنا ...

وفراشة البستان مهرتنا الحرون

فالمقطوعة حوار هادئ ، وغياب شبه كامل لأثر الجملة الفعلية ، لذا نجد النص أقـــرب إلى الفكرة الجامدة ، في حين يغيب الصخب الذي عهدناه في مجموعات الانتفاضـــة ، وغيـــاب الحدث والزمن يتطلبان من الشاعر نحتا أقوى وأدق لإشغال الفراغ الذي تركه الفعل .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويلحظ ذلك بوضوح في (نقوش) ، مثل : [48]

"الموت منغلق الملامح ، غامض مثل النعاس ، الموت يضحك من بنفسجة ، العروس.

إن الكلب ، أفعى ".

وكذلك " الطفل يحتضر الحياة من البداية ، صرخة المولود بشرى الموت !" [49] وكذلـك "الأنبياء رأوا وجوه الموت ، إبراهيم نار ، يونس الحوت الكبير يوسف الجب الظلام ، وســـلة الأمواج موسى ، ذبح إسماعيل ، أيوب الصبور أو الصديد ... "[50]

---

[48] - طه ، المتوكل ، نقوش على جدارية محمود درويش ، 33 . 34 . 35 .

[49] - نفسه ، 46 - 47 .

[50] - نفسه ، 46 - 47 .

فالشاعر يرى أن المرحلة ملأى بالكوابيس والمهالك التي تضطر تجربته الشعرية تحت لغة جديدة ، وبناء جملة فريدة ، تواكب حجمها ، وتتابع تطوراتهما ، لذا فهو يعمد إلى الابتعاد عن التقريرية المباشرة ، ويتجاهل الخطابية التي كانت تمارس التحريض والتعبئة الجماهيرية في مرحلة الانتفاضة الأولى . [51]

فالمفردات تتطور دلالاتها بتطور الزمن ، ويؤثر في ذلك القالب الشعري الذي وظفه الشاعر فيه ، لأن اللغة في أصلها ليست كتلة جامدة تدحرجت عبر العصور حتى وصلت إلينا ، وإنما هي كيان متطور كما الإنسان كيان متطور . [52]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

2- استخدام الألفاظ غير العربية

أ- الألفاظ العبرية :

بدأ ظهور الألفاظ العبرية عند الشاعر من خلال تسمية أشياء السجون الإسرائيلية التماسا لواقعية اللغة ؛ إذ سعى الشاعر من خلال تناولها إلى الاقتراب أكثر نحو ملامسة حياة المعتقلين والأسرى الذين غالبا ما يستخدمون الأشياء بأسمائها العبرية. [53]

ومن أمثلة ذلك ، قول الشاعر : [54]

---

[51] – مقابلتي مع الشاعر بتاريخ 25 – 6 – 2001 – في رام الله ، فلسطين .

[52] – ينظر : الأحمد ، أحمد سليمان ، الشعر الحديث بين التقليد والتجديد ، الدار العربية للكتاب، 1983، 23.

أأسأل والقيد يبدأ من رسغ كفي

في (كتسعوت)

وكذلك قوله : [55]

حتى (نفي ترتسا) أو جدوة

لحرق البساتين في الصدر

أو لاحتواء العواصف والأنبياء

فاللفظتان : (كتسعوت) و (ترتسا) عبريتان ، اللفظة الأولى هي اسم لمعتقل النقب الصحراوي (أنصار 3) ، والثانية اسم لسجن النساء الإسرائيلي .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

واستخدم الشاعر اللفظ الذي يستخدم في العبرية لمدينة القدس (أورشليم) في قوله:[56]

وكيف نقول إنا عند باب القدس

والعربان قد هربت

وخلتها لتصبح (أورشليم) الهيكل المزعوم ؟

---

[53] — لقد لاحظت ذلك الأمر من خلال فترة اعتقالي في السجون الإسرائيلية .

[54] — طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 42 .

[55] — نفسه ، 43 .

[56] — طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 31 .

وقد أدى استخدام لفظة (أورشليم) إلى خلق مفارقة مباشرة بعد لفظة (القدس) تعبيرا عن أن تخلي العرب عن القدس وجعلها لقمة سهلة للتهويد وتزييف هويتها وعنوانها .

كما استخدم الشاعر ألفاظ : (المجاشات) و (المشاتيح) ؛ وهي من أدوات المعتقل [57].

لكن الشاعر تلاعب بالألفاظ ؛ لتتأرجح بين العربية والعبرية من حيث اللفظ فقط ، وليس الأحرف المكتوبة أمثال ذلك قوله : [58]

"قال المعلم : أنا لم أر غير (يافو) و (ريحو) بهذي الدروس فاختار "مدينتين فلسطينيتين ، أولاهما احتلت عام 1948 م ، وأخراهما احتلت عام 1967 م ، ودلالة الصبغة العبرية في اللفظ هو تغير القيم والمبادئ وتزوير الحقائق ، وهي نتاج عملية التسوية التي تجعل المدرس العربي يلقن طلبته أنها مدن يهودية .

جميع الحقوق محفوظة
مركز الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويسعى الشاعر إلى إبراز طبيعة المفارقة بين المبادئ والمثل وبين الواقع المرير الذي نعيشه من خلال استخدام هذه الألفاظ . [59]

واستمر الشاعر في بناء هذه التركيبة اللغوية في قوله : [60]

احضنوهم وقولوا :

---

[57] — ينظر : طه : المتوكل ، رعوة السؤال ، 74 .

[58] — طه ، المتوكل ، ريح النار ، 26 .

[59] — عيسى ، كمال أحمد ، عناصر الإبداع الفني ، 138 .

[60] — طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 31 .

شلوم " سلام

فاللفظة الأولى في العبرية (شلوم) تعني في العربية (سلام) ، ودلالة ذلـــك أن الشـــاعر يرفض ، بل يستهزئ بدعاة التطبيع مع الإسرائيليين .

ب - الألفاظ الإنجليزية :

لم يكثر الشاعر من توظيف مفردات من اللغة العبرية ، لغة الاحتلال ، كما لـــم يتوســـع في استعمال مفردات من الإنجليزية في مثل قوله : [61]

غنينا طويلا

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

للطيور السابحات

لجرحنا

للعوسج المفقود خلف (الشيك)

فالشيك تعني السياج ، وقد تأثر الشاعر ببيئة العتقل الصحراوي حيث أطلق كلمة (الشيك) علـــى السياج المجدول الأسلاك الشائكة ، يقول الشاعر : [62]

ومدريد ... تشهد أنا خرجنا إلى لغة الظل

---

[61] – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 56 .

[62] – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 17 .

تشهد أنا كسرنا (ديكورات) صرختنا في الفنادق

والديكور هو الشكل المعين المعبر عن رغبة صاحبه ، فالشاعر يهاجم أنصار السلام مع (إسرائيل) متهما خطاباتهم السابقة وشعاراتهم بأنها ديكور شكلي مزيف .

استخدم الشاعر كذلك أسماء بعض المأكولات والمشروبات بأسمائها الإنجليزية ؛ ونقلها بالحروف العربية - كما فعل في الكلمات العبرية .

ومن أمثلة ذلك : (كولا) [63] و (الشوكلاتة)[64]و (الكافيار)[65] ، كما ذكر (البوينع) [66]، وجهاز الفاكس [67]. وهي ألفاظ تستخدم في حياتنا اليومية بشكل كبير .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

سعى من خلال كلمات (البوينغ - طائرة) و (الكافيار) إلى سلخ حياة بعض المسؤولين عن حياة شعبهم الفقير المعدم ، فنقلهم الشاعر إلى الفنادق بوساطة طائرة (البوينغ) ليتناولوا بيض السمك ، دلالة على انحرافهم الخلقي ، وسلوكهم المنحل ، وفسادهم المستشري ، وانفصالهم عن واقع أمتهم البائس .

3 : استخدام الألفاظ العامية

---

(63) – رغوة السؤال ، 49 .
(64) – ريح النار المقبلة ، 30 .
(65) – نفسه ، 60 .
(66) – نفسه ، 60 .
(67) – نفسه ، 96 .

تتناثر في بعض المواضع في شعر (المتوكل طه) كلمات عامية ، حـــاول مـــن خلالـــها الشاعر أن يكون شفافا في مواضعها ، وعلى مقربة من الجماهير وواقع الحياة التي يصورها.

ففي تصويره لهمجية جنود الاحتلال في اثناء عمليات اقتحام المنازل الفلسطينية لاعتقـــال المجاهدين . يقول الشاعر : [68]

ماذا تريدون ؟

(إبعد)

ويدخل أولهم مسرعا بانفعال

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فكلمة (إبعد) عامية ، وهي في اللغة الفصحى (ابتعد) ، لكن استخدامها يثير فينا عاطفـــة ضد المحتل ؛ لأنها تبين عنف الجنود بشكل أوضح ، ويقـــول الشـــاعر فـــي وصـــف أســـاليب الاعتقال: [69]

ويلقون في ساعديه الحديد

على رأسه كيس خيش كرية

كلمة (خيش) عامية ، معناها : أكياس مصنوعة من خيوط خشنة سميكة ، وهـــــي مـــن قاموس التراث الشعبي في فلسطين .

---

[68] – نفسه ، 101 .

[69] – نفسه ، 105 .

ومن كلمات اللهجة العامية كلمات الأغاني الشعبية ، يقول الشاعر : [70]

بير زيت (آوف) الميجنا ، دبكات عرس

في كل ليلة

(فالأوف والميجنا) من كلمات الأغاني والأهازيج العامية ، وكذلك استخدم الشاعر أسماء بعض الملابس في اللجهة العامية كقوله : [71]

يا أبي لم أداعب يديك .....

ولم أتعلق بقمبازك الصوف

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالقمباز نوع من الملابس الشعبية ، ومنها قوله ، في وصف الحياة الاعتقالية :[72]

والبطاطين غبار وذباب

مزق لضلوع القمل قدوها

فالبطاطين جمع بطانية ، وهي غطاء للنائم خشن ثقيل يستخدم في المعسكرات والسجون نظرا لرداءة نوعه وصعوبة تنظيفه .

وعلى الرغم من ندرة استخدام الألفاظ العامية بين سطور اللغة الفصحى عند الشاعر إلا أن دخولها مأخذ على الشاعر ، على أن الفائدة التي يحققها استخدام هذه الألفاظ أقل من الضرر

---

[70] – طه ، مواسم الموت والحياة ، 20 .

[71] – طه ، رعوة السوال ، 46 .

الذي تلحقه بالنص ولغة القصيدة ، ومع ذلك نأمل أن يتخلص الشاعر منها نهائيا تصفيـــة للغتـــه الشعرية التي تميزت بالقوة والتماسك والرصانة.

4- التضاد :

التضاد أو ما يسمى المخالفة ، يتسطيع الشاعر من خلاله أن يوازي التضاد في الواقـــع الحياتي ، حيث انقلبت المفاهيم والموازين ، وتناقض الشعار والتنفيذ ، والنظرية والتطبيق ، فـــي وقت يسمى فيه التنازل تعايشا أو سلاما ، ويسمى الجهاد إرهابا واعتـــداء .

ومن أمثلة ذلك ، يقول الشاعر :[73]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الإسكندرية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هذي التي يلتقي فوقها الخائن الوطني
بالخائن الوطني

ففي هذا تضاد : خائن / وطني ، يعبر الشاعر من خلاله عن أن الذين يتنـــازلون عـــن الوطن ويئدون القضية الوطنية هم خونة تحت اسم وطني .

فكل الوسائل الفنية تعطي النص إثراء في المدلولات والإيحاءات ، ومـــا زال الشـــاعر يوظفها في مكانها المناسب .

ويقول الشاعر : [74]

---

[72] – نفسه ، 74 .

[73] – طه ، رغوة السؤال ، 6 – 7 .

آه يا أبتي ...

يا حضور الغياب

التضاد يكمن في ، حضور / الغياب ، ويفيد هذا التضاد في أن الشاعر يجعل من غيـــاب والـــده حضورا نفسيا أو معنويا لا ماديا حقيقيا . وفيه تعبير بليغ عن وجود شخصية والد الشـــاعر فـــي نفس الشاعر وفكره ووجدانه .

ومن أمثلة التضاد كذلك ، قوله الشاعر : [75]

فالسجن .....

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الإسكندرية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يكشف سر الزمان الثقيل

ويجعل ذكرى الطفولة والعشق

أشهى العذاب

وهذا التضاد أشهى / العذاب ، يجعل من عذابات السجون والمعتقلات شيئا شهيا ؛ لأنـــه نتيجة لرغبة الأسير في تحقيق غايات سامية ، وأهداف نبيلة كالحرية والاستقـــلال .

وفي الحديث عن السجن يقول الشاعر : [76]

نكبر بالموت

---

[74] – نفسه ، 50 .

[75] – طه ، زمن الصعود ، 43 .

نولد في كل حرب وسجن

ويظهر التضاد في نكبر / الموت ، فإن كان المدلول العام للموت هو الفناء والانقـــراض ، فإن الشاعر يرى في الموت وسيلة للامتداد والتطور ، لأن الموت ليس نهاية كل شيء ، فقـــد يكون الموت وسيلة لميلاد أجيال جديدة تعمل على متابعة المســـيرة.

ومنها كذلك قوله : [77]

لم تبكه الحسناء

من وجع لذيذ

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالتضاد في وجع / لذيذ يؤدي إلى المعنى الذي تبين في أشهى / العذاب .

5- التكرار

" أسلوب التكرار يحتوي على كل ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانات تعبيرية ، إنـــه في الشعر مثله في لغة الكلام ، يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالـــة ، ذلـــك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة ويستخدمه في موضعه ". [78]

لأن الإبداع ليس مسألة نظرية وإنما هي أيضا عملية تكاملية ، تشـــهد عليـــه نصوصـــه المكتوبة ، وليس ما يقوله في أثناء المقابلات واللقاءات عن تجربة ، وإن كان التكـــرار ظـــاهرة

---

[76] – نفسه ، 44 .

[77] – نفسه ، 57 .

لغوية تثري المعنى فإن ذلك مشروط بكيفيّة تناوله وحُسن توظيفه ، حتى لا يكون التكرار حشواً ثقيلاً في النص .

إن الشاعر يستطيع من خلال التكرار أن يعمّق الفكرة ويجليها ويوضحها " والقاعدة الأولية في التكرار أنّ اللفظ المكرّر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام وإلا كان لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها ". [79]

من صور التكرار في شعر - المتوكل طه - قوله : [80]

لعلك يا أخت روحي بخير

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة جامعة النجاح
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لعل جميع اللواتي عشقن الحياة بخير

لعل الجميع بخير

فالكلمات : لعلّ وبخير تكررتا في ثلاث جمل شعرية متتابعة ، وهي استهلاك لقصيدة خاطب فيها الشاعر النساء الفلسطينيات الأسيرات لدى العدّو الإسرائيلي .

وكذلك كرر استعمال الفعل مما يزيد في قوّته وأثره ، يقول : [81]

فيصحو الرفاق بصدرك ، تذكر :

---

[78] – الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، 230 .

[79] – نفسه ، 231 .

[80] – طه ، زمن الصعود ، 35 .

[81] – نفسه ، 90 – 91 .

أنا ضحكنا ، ضحكنا كثيراً

وأنا اقتتلنا قليلاً ، قليلاً

تكرر الفعل (ضحكنا) والاسم (قليلاً) ، وفي هذه إشارة إلى عمق العلاقـــة التـــي تربـــط المناضلين ببعض ؛ ونؤكده قوة العلاقة فيما بينهم .

ومن صور التكرار تكرار عبارات أو تراكيب ، أي : جُمل مثل قوله : [82]

-إننّا بعد هذا السلام انتهينا وحطتّ بنا

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الحمأة الجارحة

إنّنا بعد هذا السلام انتهينا

وتسكننا الحمأة الجارحة

وهذا التكرار هو توكيد ؛ فالشاعر يحاول في كل مناسبة أن يعبّر عن موقفـــه الرّافـــض لعملية التسوية مع العدو الصهيوني .

ومثالٌ آخر على تكرار العبارات قول الشاعر : [83]

وأخيراً يعطي الأمر إلى السجّان

---

[82] – طه ، ريح النار المقبلة ، 100 .

[83] – طه ، أو كما قال ، 13 .

فيا سبحان

ويا سبحان

ويا سبحان

وكذلك قوله : [84]

مات قبل أن يكون !!

وربما ما كان في الحياة

لن يكون ...

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

لن يكون ...

إنه تعزيز الفكرة ، وتأكيد الخبر ، وتثبيت الموقف الذي يسعى الشّاعر إلى تصويره في أكثر من قصيدة .

6- الترادف

الترادف بأبٌ واسع في العربيّة ؛ وقد عرّفه القدماء بأنه الألفاظ المفردة الدالّة على شيء واحد باعتبار واحد ، فالترادف من خصائص لغتنا العربيّة المشتملة على محصول لغويّ لا مثيل له .

---

(84) – طه ، نفسه ، 21 .

يعمل استخدام الترادف على إثراء المعجم الشعريّ للشاعر ، كما أنّه يدلّ علـــى تمكـنَ الشاعر من المستوى اللغويّ ومقدرته على التنسيق بين اللفظ ودلالته ، وهو يدّعم الفكـــرة مـــن خلال إثراء النص بمفردات جديدة .

ومن أمثلة الترادف في شعر المتوكل طه ، قوله : [85]

أنا لم أرَ .. غير جناز موتي

وقدّاس دفني في أرض أمسي

فالجنّاز والقُدّاس تسيران ضمن المعنى نفسه ، إشارة إلى طقوس الموت الممزوجة بالابتـــهالات عند النصارى ، وقد استمدّ منها الشاعر ما يرمز به إلـــى مـــوت القضيـــة الفلســـطينية بســـبب مفاوضات التسوية .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وفي حديثه على لسان الحاشية الفاسدة حول سدّة الحكم ، يقول الشاعر : [86]

نحن العقرب بجناحيه اللاسعتين الواسعتين

هلاك الخبز ، وريح الجنة والأسرار

صدى كسرى ، نحن الشهبندر والتجار

---

(85) – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 12 .

(86) – طه ، المتوكل ، حليب أسود ، 20 .

وهذه الكلمات : " العقرب ، هلاك الخبز ، صدى كسرى ، الشهبندر والتجار " وإن ظهرت بأنها مختلفة -في حالة كونها منفردة- لكنها حينما تجتمع في النص المذكور فإنها تؤدي إلى معنى مشترك ، وتومئ مجتمعة إلى تنفّذ هذه الثلة ، وفسادها .

في المجال نفسه ، يصوّر الشاعر فساد الحاكم ، ويستعمل الترادف لأكبر عدد ممكن من المعاني المتداخلة والمتشابكة ، فيقول : [87]

يحضن أطفالاً فقراء ... ويبكي

ويصلّي يوم الجمعة من فرط الإيمان

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الإسكندرية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ويزور الأطفال ، قضى الآباء

وظلّوا شهداء ويحكي سيرتهم بالقرآن

فهذه التصرفات وجد من خلالها الشاعر ما يكشف به التناقض بين الشكل والجوهر ، فهذه الأعمال ما هي إلا ستار أو غطاء يتقنع به زعماؤنا أمام الناس والإعلام ، لكنهم في السرّ يعطون الأوامر لأجهزتهم وكلابهم بأن تغدر الذين حضنهم في النهار وبكى على استشهاد آبائهم.

ومن أجل أن يحقق الشاعر ذلك التناقض أكثر من المترادفات في الصورة الأولى لتكون المفاجأة كبيرة في الصورة المقابلة .

---

[87] – طه ، الموكل ، أو كما قال ، 13 .

أما حديث الشاعر عن مأساة حياة الشعب الفلسطيني الذي يرزخ تحت نير الاحتلال فقد استعمل مترادفات كثير تصب كلها في هدف مشترك ، هو جحيم الحياة واستحالتها مع وجود الاحتلال ؛ يقول الشاعر مخاطباً المحتل الإسرائيلي : [88]

فكلّ حياتنا موتٌ ..

وكلّ حياتنا جوعٌ ..

وكل حياتنا سجنٌ ..

ولم تبق لنا أرضاً ..

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ولم تبق لنا عرضاً ..

ولم تبق لنا فرضاً ..

فجميع هذه الممارسات التي يفرضها وجود الاحتلال في فلسطين تشترك في معنى : بؤس ، حرمان ، شقاء .

وأودّ الإشارة هنا إلى أنّ الترادف في شعر (المتوكل طه) منه ما جاء بصورة متتابعة كالأمثلة السابقة ؛ ومنه ما جاء موزعاً في الديوان كله ، ويحتاج إلى استقصاء ، من أمثلة ذلك

---

[88] — طه ، المتوكل ، قضاء الأعمياء ، 61 .

اشتراك الكلمات التالية في التعبير عن (السلام مع إسرائيل) : [89]" التعايش ، التنـــازل ، البيـــع ، التفاوض" .

7- الأخطاء اللغوية والنحوية

ترى (نازك الملائكة) أن تجاوز بعض النقاد للأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية ظـلهرة خطيرة شائعة في النقد العربي المعاصر [90]، وتنص على أن كل خروج على القواعد المعتـــبرة ينقص من تعبيرية الشعر ، ويبعده عن روحية العصر . [91]

حينما أتناول هذا الموضوع في شعر (المتوكل طه) ؛ فإنني بداية أقرر أن لغة الشـــاعر متماسكة رصينة سليمة ، لكن الهنات التي وقع فيها لضرورة أو لغير ضرورة لا بد من الإشـــارة إليها اقتناعا مني بما ذهبت إليه (نازك الملائكة) ، لأن في ذلك وضعا للنقاط علـــى الحـــروف ، وتجاوزا لهذه الأخطاء ، حرصا على الاستعمالات السليمة للغة ، ودفعا للتـــهتك الـــذي يصيـــب النص بسبب هذه الأخطاء .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فمن هذه الأخطاء ، قول الشاعر : [92]

وتمور بالنار ، الحجارة ، والهتافات

---

[89] – ينظر : رغوة السؤال ، 11 . 14 . 17 . 20 .

[90] – الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، 289 .

[91] – نفسه ، 296 .

[92] – طه ، مواسم الموت والحياة ، 22 .

فلا تجر ثلاثة أسماء بحرف جر واحد ، كما لا يوجد حـــرف عطـف بيـن الكلمتيـن الآخيرتين .

وكذلك قوله : [93]

قد أخرجوك من السجون

إلى السجون سينقلوك

فالأصل : (سينقلونك) ، لأنه فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، لأنه مـن الأفعال الخمسة على وزن (يفعلون) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كذلك قول الشاعر : [94]

يا ابنة عمران

يا طهر هذا التراب المباع

والصحيح : المبيع .

ومنها قوله : [95]

تنظر أمي ، تقول :"استحي يا ولد"

---

[93] – طه ، زمن الصعود ، 67 .

[94] – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 9 .

ففعل الأمر (استحي) يجب أن يكون : (استح) ، لأنه فعل أمر مبني على حذف حـــرف العلة من آخره ، وقد سمى القدماء هذا الموضوع (إجراء للمعتل مجرى الصحيح) : أي إثبـــات حرف العلة في الموضع الذي يجب حذفه فيه في سعة الكلام . [96]

وإذا كان الشاعر قد اضطر إلى الوقوع في بعض الأخطاء تماشيا مـــع الـــوزن ، فـــإن الأصعب من ذلك ، الأخطاء التي لا مبرر لها ؛ يقول : [97]

هاك نهداي ، بطني ، وفخداي

فلو قال الشاعر ، هاك نهدي ، بطني ، وفخدي .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فكلمتا نهدي وفخدي : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى .

كم أن الشاعر صرف الممنوع من الصرف في قوله : [98]

أو قيل::

تذهب روحنا لعناكب وعقارب

فنون كلمتي ، عناكب وعقارب مع أنهما ممنوعتان مـــن الصـــرف ؛ ولا يلحـــق بـــهما التنوين ؛ لأنهما من صيغ منتهى الجموع .

---

(95) – طه ، نفسه ، 50 .

(96) – الإشبيلي ، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد (ابن عصفور) ، ضرائر الشعر ، تحقيق : حليل عمران المنصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية – لبنان ، 1999 ، 31 .

(97) – طه ، حليب أسود ، 12 .

(98) – طه ، نقوش ، 33 .

إن هذه الأغلاط النحوية تعبث بلغة الشاعر ، وتفسد عليها بوطن إبداعها ، كما أنـــها لا تليق بنصه المتماسك لغويا .

فضاء العنوان الشعري عند (المتوكل طه)

تنبثق أهمية العنوان بشكل عام من كونه عنصرا من أهم العنـــاصر المكونـــة للمؤلـــف الأدبي ويعد العنوان سلطة النص وواجهته الإعلامية . [99]

كما يعد العنوان مصطلحا إجرائيا ناجحا في مقاربة النص الأدبـــي ، ومفتاحـــا أساســيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها ، ويستطيع العنـــوان أن يقوم بتفكيك النص من أجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية ؛ وأن يضيء لنا فـــي بداية الأمر ما أشكل من النص وغمض . [100]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالدراسات الحديثة لا تتخطى العنوان ، ولا تغفل علاقته بالنص ، ومدى إلمامه بفحـواه ، كما أن الدراسات الحديثة تنظر إلى النص الرئيس على أنه يولد نصا مساندا له يمكن أن يشـــكل عتبة ندخل من خلالها إلى أعماق النص المتن .

والنص المساند لا يقل أهمية إذا ما أحسن توظيفه عن النص المتن ، إذ يشكل المختصـــر المفيد ، والعلاقة المؤشرة للنص الرئيسي .

---

[99] – ينظر : حليفي ، شعيب ، استراتيجية العنوان ، مجلة الكرمل ، عدد 46 . 1992 . 85 .

[100] – ينظر : حمداوي ، جميل ، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، مجلد 25 . عدد 3 ، 1997 . 96 .

وقد أعطى (المتوكل طه) أهمية بالغة للعنوان الذي ينحته بعد أن يتـم بنـاء القصيـدة ، باحثًا عن أقل الكلمات المعبرة عن الخط المركزي للنص .

الشاعر يضع عناوين قصائده بعناية ودقة بعد أن يستوي نصها ، مؤكدا أنه لا يمكـن أن يكتب عنوان القصيدة قبل إنهائها ؛ والسبب يتمثل في كونه مقتنعا بأن العنوان ملك للنـص ، ولا يدري أين ستأخذه القصيدة . [101]

ومن خلال دراستي للمجموعات الشعرية التي أصدرها الشاعر حتـى آخرهـا (نقـوش 2001) وجدت أن عناوين مجموعاته الشعرية منسجمة تماما مع موضوعات القصائد ، والأحـوال التي سادت الحياة العامة في فترة خلقها وإبداعها .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

فالمجموعة الأولى (مواسم الموت والحياة 1987) يشير العنوان إلى أن القصـائد تنـاولت بصيص الأمل لميلاد الثورة الداخلية (الانتفاضة) بداية الثمانينات من القرن الفائت ، وما تخلـل تلك المرحلة في فلسطين من مظاهرات وإرهاصات ونشاطات متفرقة ، كما أشارت إلى عوامـل الهبوط والإحباط التي كانت تبدو على الساحة بسبب الظروف الدولية ؛ وما حدث عـام 1982 م من خروج الثورة من (لبنان) وممارسات الاحتلال وإجراءاته .

---

[101] – مقابلتي مع الشاعر بتاريخ 2001/10/23 ، في رام الله .

فمن عناوين قصائد هذه المجموعة (بير زيت تفتتح النشيد) [102] ، وكذلك (يا هدوء الانتقام) [103] و (ميلاد) [104] و (يا بيروت) [105] و (لن نغني) [106] و (السؤال الأخير لشرف الطيبي) [107] و (لماذا بموتك كنت سخيا) [108].

كما يلحظ عند المقارنة بين هذه العنوانات وقصائدها أنها عنوانات تمثل جو القصيدة ومضمونها إلى حد كبير .

فليس العنوان في النص الشعري مجرد خادم للنص وتابع له . [109]

لقد أصبح حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي للنص ، واصبح بالإمكان أن نتحدث عن شعرية نصوص العنوان ، كحديثنا عن شعرية النصوص المعروضة بعد العنوان. [110]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما في المجموعة الثانية (زمن الصعود 1988) فقد جاء منسجما مع تفجر الانتفاضة الشعبية في الأرض المحتلة ، وقد أصبح للزمن صعوده بسبب هذه الثورة الملتهبة التي أدمت العدو ، وصارت سجلا ناصعا للمجد في تاريخ الثورة الفلسطينية وقضيتها . [111]

---

(102) ـ مواسم الموت والحياة ، 17 .
(103) ـ نفسه ، 125 .
(104) ـ نفسه ، 129 .
(105) ـ نفسه ، 141 .
(106) ـ نفسه ، 167 .
(107) ـ نفسه ، 27 .
(108) ـ نفسه ، 43 .

وأما المجموعة الثالثة فهي (فضاء الأغنيات 1989) التي ولـــدت فـــي مرحلـــة الزخـــم الجماهيري ، والمد الشعبي ، وتصاعد الانتفاضة ودوامة الاعتقالات وحركة الخروج والـــنزول إلى باحات صحراء النقب ، وهي مجموعة لا تحتـــوي إلا علـــى عنوانـــها الرئيســـي (فضـــاء الأغنيات) بدون عناوين فرعية لتأتي على شكل مطولة تتناسب مع كلمة (فضاء) ؛ وهذا ما يؤكـد دقة الشاعر في نحت عناوينه وإخراجها إذ كان موفقا جدا في عدم وضع عناوين فرعية للنـــص حتى يتلاءم النص مع العنوان .

وبعد مديد جثمت التساؤلات على صدور العالمين ، وكـــثرت المصطلحـــات الجديـــدة كالتعايش والتواؤم والاستقلال والمرحلية كأمر واقع ، فجاءت مجموعة الشاعر (رغوة الســـؤال 1992) في مرحلة كانت متأرجحة بين القمع ؛ وبوادر التسوية ؛ واستمرار معاناة المعتقلين.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وبعد (أوسلو) وما مثله هذا الموضع التاريخي من تحول في رحلة الشاعر الأدبية كـــان الشاعر غير مطمئن لما تم توقيعه ، وبما أنه كان عكس التيار والحقيقة والمنطق والتاريخ ؛ فقـــد اشتم الشاعر ريحا للنار التي ستأتي لتحرق كل ما خلفته (أوسلو) والاتفاقات الأخرى ، فجـــاءت مجموعة (ريح النار المقبلة 1995) .

---

(109) – ينظر : عيادي ، رشيد ، الشعر العربي الحديث (دراسة في السحر النصي) د ط ، إفريقيا الشرق ، المغرب 1998 . 107 .

(110) – ينظر : نفسه ، 110 .

(111) – مقابلتي مع الشاعر بتاريخ 2001/10/23 ، في رام الله .

وقد عمد الشاعر في هذه المجموعة إلى نحت العنـــاوين ذات الصبغـــة الإيحائيـــة ، أو المغرقة في إيحائيتها ، مثل :" بوذا ، والشيخ ، ونشيد الصحراء ، وباختصار شديد ، وجـــدار ، ودخان ، وصورة تتجدد ، والذئب وغربة ، ونافذة لروح ، وفي أثناء الطبع ".

أما (حليب أسود) فإنه نتاج ما تمخص عن (أوسلو) من ســـلطة ومؤسســـات وخلافـــات وتصفية حسابات ، فقد لجأ الشاعر إلى استيحاء الموروث التاريخي ، موظفـــا قصـــة (هـــارون الرشيد) مع (البرامكة) فالحليب الذي رضعه هارون وأبناء (يحيى البرمكي) من صـــــدر واحـــد انقلب حليبا أسود ، كما أن راية العباسيين كانت سوداء ، وهذا يعني أن منجزاتهم العظيمة تمثـــل جزءا منها في القضاء على البطانة السوداء ، بمعنى :أن هذه الراية وإن كانت سوداء إلا أنـــها نقية وصافية مثل الحليب .[112]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وكانت عناوين هذه المجموعة ذوات إيحاء رمزي من الموروث التـــاريخي العباســـي ، لتنسجم مع النص والمادة التراثية الرافدة له مثل :" الأصوات ، روايات معاصرة".

أما المجموعة الأخيرة (نقوش على جدارية محمود درويش 2001) فقد وســـمها الشـــاعر بهذا الاسم لأنها معارضة لقصيدة (جدارية) للشاعر (محمود درويش) .

" ويمثل هذا العنوان ثلاثة نصوص غائبة هي نص النقش ونص الجدارية والشاعر النص".[113]

---

[112] – من مقابلتي مع الشاعر بتاريخ 23 . 10 ، 2001 ، رام الله .

[113] – مصلح ، أحمد ، المتوكل طه في نقوش على جدارية ، مخطوط (ص1) .

وبما أن الجدارية في الفن عمل من أعمال التشكيل البارز المعروض على واجهات في أماكن عامة أغلب الأحيان ، وفيها ما يوحي بالثقل والكثافة والملحمية [114]، فإن اسم (نقوش) يمثل خصبا لتلك الجدارية ، ومؤشر حياة جميلا يلتصق بالنص ويعيش معه .

هكذا تظل (نقوش) نصا واحدا بدون عناوين فرعية ليتسنى تلاحمها مع ملحمية نص (محمود درويش) .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[114] – الأسطة : عادل ، أرض القصيدة ، ط1 ، بيت الشعر الفلسطيني ، رام الله ، 2001 ، 15 .

الفصل الرابع

الموسيقى في شعر المتوكل طه

أولا : في موسيقى الشعر

1-أنواع الموسيقى الشعرية

2-الإيقاع الشعري عند المتوكل طه .

ثانيا : القافية

1. الموسيقى الداخلية في شعر المتوكل طه

2. تكرار الأحرف والكلمات

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

3. تكرار العبارات

4. القوافي الداخلية مع الارتباط بقافية رئيسة

5. التدوير

6. التصريع

7. الجناس

8. الطباق

9. الفواصل الصامتة

10. تفتيت الشكل

أولا : في موسيقى الشعر

الموسيقى روح القصيدة ، وإمكانيتها في التأثير والانتشار ، وهي العمود الفقري للعمـــل الشعري ، تسنده وتمنحه العطاء والحياة . [1]

الموسيقى من أبرز عناصر الأسلوب الشعري ولا تقل أهمية عن الخيـــال ، ولا قيامـــه لعمل شعري بدونها ، وقد يقوم العمل الشعري عليها وحدها .[2]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وتتفق هذه الآراء على أن ما يميز الشعر للوهلة الأولى من حيـــث المظـــهر موســـيقاه وطريقة كتابته رعاية لهذا الجانب الإيقاعي ، وقد أكدت تجربة الإنسانية في كل العصور وكـــل اللغات أنه لا شعر بلا موسيقى .[3]

ويظهر بأن في العنصر الموسيقي أسرارا لا يمكن تجريدها وتلخيصها بشـــكل نظـــري جاف ، بل يسبر غورها من خلال استعراض ذلك الزخم والترابط والتداخل والتمـــازج والـــدوي المشترك الذي يشكل القالب الموسيقي .

---

[1] – مقابلتي مع الشاعر (التوكل طه) في رام الله 2001/7/16.

[2] – ينظر : السحرتي ، مصطفى عبد اللطيف ، الشعر العربي المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبعة القتطف والمقطم ، 1948 ، 50.

[3] – ينظر : عبد الله ، محمد حسن ، الصورة والبناء الشعري ، 9 .

ومن أسرار موسيقى الشعر "أن لكل عاطفة أو معنى نغمة خاصة في الموسيقى والغنـــاء ؛ وهي أليق به وأقدر على تعبيره ، لأنها صوته الطبيعي وصورته الحسية الدقيقة".[4]

هذه التجارب الشعرية الإنسانية تشترك كلها في جعل الموسيقى عنصرا مـــائزا للعمـــل الشعري عن غيره من الإبداعات ، أما في شعرنا العربي " فمن المعروف أن أساسه الموسـيقي ، والعناصر الأولية في موسيقاه هي الحركة والسكون ؛ ومن هذه الحركـــات والســكنات تتكـــون الفواصل المختلفة ، وكل مجموعة من الفواصل تكون تفعيلة". [5]

وإذا كانت الموسيقى لغة النفوس التي تطرق باب المشاعر ، وتنبه الذاكرة ؛[6] فـــلا بـــد أنها تثري العمل الشعري بشقيه ، الخارجي والداخلي ، وتخلق الإيداع المرتجـــى مـــن العمـــل الشعري باعتبارها نواته وركيزته المثلى .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الإيقاع الشعري عند المتوكل طه :

يلحظ بعض الدارسين أن الإيقاع أكثر شيء لافت للنظر في شعر المتوكل [7]، كما يلحـظ أن الشاعر اعتمد على قصيدة التفعيلة في كل مجموعاته الشعرية بضع مقطوعات عمودية تكـــاد

---

(4) ـ الشايب ، أحمد ، أصول النقد الأدبي ، 322 .

(5) ـ مندور ، محمد ، الأدب وفنونه ، 32 .

(6) ـ ينظر : حمران ، حمران خليل ، رمل وزبد والموسيقى ـ ترجمة ، أنطونيوس بشير ، 47 .

(7) ـ أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، (سابق) ، 228 .

لا تشكل ظاهرة حينما تقارن بالكم الهائل الذي نظمه على أساس وحدة التفعيلة ، فحركة الشـــعر الحر قامت أساسا على جعل التفعيلة وحدة للقصيدة بدلا من وحدة البيت .[8]

أما الموسيقى الخارجية فقد جاءت عند الشاعر موزعة على الشكل الآتي :

اسم الديوان	عدد قصائده	الكامل	المتقارب	الرمل	الوافر	الرجز	المتدارك	الهزج	غير موزونة
مواسم الموت والحياة	24	8	5	7	1	2	1	–	
زمن الصعود	9	3	5	–	–	1	–	–	قصيدة شعبية
فضاء الأغنيات	نص واحد	×			×		–		
رغوة السؤال	9	–	7	1	–	–	–	–	1
ريح النار المقبلة	31	5	9	8	1	–	7	1	
حليب أسود	23	–	1	1	2	–	16	–	3
نقوش على	نص واحد	×	–	–	–	–	–	–	

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[8] – ينظر : السعافين ، إبراهيم وآخرون ، أساليب التعبير الأدبي ، ط1 ، دار الشروق ، عمان الأردن ، 1997 ، 128 .

جدارية									
المجموع	**98**	**16**	**27**	**17**	**4**	**3**	**24**	**1**	**4**

فالإيقاع الشعري يصبح ثريا باستخدام التفعيلات وتعددها وتنوعـــها ، وتتضـــافر تلـــك التفعيلات المتنوعة مع طول السطر الشعري أو قصره وإمكانيات أخـــرى ؛ أتاحتـــها القصيـــدة الحرة مثل التدوير والتكرار ، فيزداد الإيقاع قوة ، ويعطي ذلك الزخم الموسيقي القصيدة موقعـــا من المتلقي ، ويخدم موضوعها ويجعله أقرب إلى المتلقي وأكثر شيوعا .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

كما تلاحظ غلبة بحر (المتقارب) على مجموعاته الشعرية حيث تكرر اســـتخدامه ســـبعا وعشرين مرة ، ففي الديوان الأول استخدامه الشاعر خمس مرات وكذلك الثاني ، بينمـــا انعـــدم وجوده في الديوان الثالث ، وعاد الشاعر إليه في الديوان الرابع ، ليستخدمه سبع مرات ، وتســـع مرات في الخامس ، أما في الديوان السادس فقد اقتصر استخدامه على مرة واحدة ولم يكن لـــــه حضور في الديوان الأخير .

"فالمتقارب بحر فيه رنة ونغمة مطربة "[9]كما أنه يصلح بتفعيلة (فعولن) أكثر من غـــيره للتعبير عن ازدحام الأفكار ؛ لتكون بمستوى تزاحم الأحداث وتطورها .[10] ويـــرى عـــدد مـــن

---

[9] – الشايب ، أحمد ، أصول النقد الأدبي ، 323 .

[10] – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر التوكل ، 230 .

الدارسين أن تكرار (فعولن) أكثر رتابة من المراوحة بين تفعيلين مثل (فاعلاتن مستفعلن) وهو من البحور الصافية [11]؛ لكنني لا أؤمن بالعلاقة بين البحر وتفعيلاته من جهة ، وموضوع القصيدة المنتظمة على البحر العروضي ، وأذهب إلى أنها قضية نسبية إلى حد كبير ، وربما تأتي من باب المصادفة .

والأمر ليس بهذه العملية الجافة ، فالموسيقى مسألة ذوقية حساسة ، يختارها الشاعر انطلاقا من الانسجام الذي ينشأ بين سليقته الشعرية من جهة ، وموسيقى البحور الشعرية من جهة أخرى .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد ينظم الشاعر قصيدتين في موضوعين مختلفين على البحر نفسه ، فكيف يمكن أن تعلل ذلك حينما نقرر أن ذاك البحر يصلح للمواضيع الوجدانية أكثر من غيرها أو أية احتمالات أخرى .

لذلك سوف أنأى بنفسي عن التورط في إصدار مثل هذه الأحكام خاصة أن الشاعر (المتوكل طه) أخبرني غير مرة أنه لا يعرف على أية أبحر نظمت قصائده ، كما أنه لا ينشغل بهذا الموضوع ؛ ويتركه للسليقة والطبيعة متحاشيا في ذلك التكلف والتصنع . [12]

---

[11] – عبد الهادي ، حسن ، دراسة شعر تاج الملوك ، دار اليمامة ، عمان ، 1997 ، 99 .

[12] – مقابلتي مع الشاعر ، بتاريخ 2001/6/25 (في رام الله).

لكنه يسعى لأن تكون قصائده موسيقية بلا حدود ، ولا غرابة أن يكون بحر المتقارب يشكل النسبة الكبرى في شعره لأنه بحر رتيب الإيقاع ، فهو مبني على تفعيله واحدة : (فعولن) ، فهو متدفق سريع نظرا إلى قصر هذه التفعيلة . [13]

أما بحر (المتدارك) فيشكل المرتبة الثانية في شعر (المتوكل) ، كما يلفت النظر أن هذا البحر لم يكن جزءا من موسيقى الشاعر في مجموعاته الشعرية الأربع قبل (أوسلو) ؛ إذ استخدمه الشاعر مرة واحدة في ديوانه الأول (مواسم الموت والحياة) ؛ وهذا يدل على أن الشاعر تحول في مجموعاته الثلاث الأخيرة إلى البحور التي تحفل بدرجة عالية من الإيقاع ؛ وكأنها عودة لا طوعية من الشاعر نحو الإيقاعات الصاخبة تعبيرا عن حالة تأزم وتراكم واحتقان ، فوجد الشاعر في الإيقاع المتداخل المتتابع مع التدوير فرصة لتفريغ المكبوتات والتنفيس عنها .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد أشار الدارسون إلى أن (المتدارك) كان قليل الاستخدام في الشعر القديم ، لكنه أصبح شائعا في العصر الحديث . [14]

كما أن الشاعر استخدم باهتمام بحر (الرمل) الذي احتل المرتبة الثالثة من حيث عدد مرات استخدامه ، والرمل فيه موسيقى هادئة ، وهو "بحر الرقة". [15]

---

(13) – ينظر : يعقوب ، إميل بديع ، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، ط1 ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، 1991 ، 124 .
(14) – ينظر : نفسه ، 119 .

وسمي الرمل بهذا الاسم لسرعة النطق به ، وهذه السرعة متأتيـــة مـــن تتـــابع تفعيلـــة (فاعلاتن) فيه .[16]

فالجانب الهام في اختيار هذه الأبحر هو سليقة الشاعر التي تتفق مع اختيار الأبحر التـــي تحقق هذا الامتداد الموسيقي بشكل أفقي يخدم موضوع القصيدة ؛ ويسعى إلى إيصالها بانسـياب ، وتتابع يجعل القصيدة جسما متصلا متحدا من حيث الشكل والمضمون .

وفي الخلاصة إن ما ذهب إليه الدارسون من أن البحـــور تختلـــف بـــاختلاف المعـــاني والأغراض والعواطف وأن على الناقد أن ينظر في هذه الصلة بين المعنى والوزن -في رأيـــي- إسراف وترف في دراسة الأوزان والموسيقى والإيقاع ؛ وإن كثيرا من هذا الكلام جـــاء نتيجـــة للمصادقة التي جمعت عدة نصوص على وزن واحد .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإلكترونية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن المعروف "أن الآذان تختلف في تجاوبها فيتفاوت صوت الشاعر نفسه لـــدى قـــراء مختلفين متفاوتين ". [17]

وكان الأستاذ (عادل أبو عمشة) قد ذهب في دراسته في شعر (المتوكل طـــه) إلـــى أن تكثيف بحر (الكامل) في النصف الأول من تجربته الشعرية يعود إلى تفعيلـــه (متفـــاعلن) التـــي تناسب الأحداث الوطنية ، والتعبير عن المواقف الجماعية أكثر من الفردية ، وأنها تساعد علـــى

---

(15) – الشايب ، أحمد ، أصول النقد الأدبي ، 323 .

(16) – يعقوب ، إميل بديع ، المعجم المفصل ، 88 .

إيصال هذا الشعور إلى الجماهير وتعبر عن روح الانتفاضة بما فيها من صخب وحدة ، وتتيح للشاعر مزيدا من الحركة . [18]

على أنك تجد في قصيدة (نقوش) التي تقع في أربع وثلاثين صفحة نظمت كلها على بحر (الكامل) مع أنها تخلو من معظم ما ذكر أعلاه ، وهي قصيدة وجدانية تأملية فلسفية تصور عقدة الخصب والجذب ، الحياة والموت ، الحضور والغياب .

وأعتقد بأن معظم البحور الصافية يحفل بالموسيقى وتناسب الموضوعات على اختلافها ، لكن الشاعر تجاهل النظم على بحر الكامل في مجموعتين متتاليتين إلا القليل لرغبته في تنويع التفعيلات خاصة أن بعض النقاد اتهم بحر الكامل بأنه صار حمار الشعراء يمتطيه الضعفاء مثلما كان الرجز في القديم . [19]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

وقد اختلف نقاد الشعر الجديد حول عدد البحور التي يكتب بها شعر التفعيلة . وكانت (نازك الملائكة) قد سبقت إلى التقنين ، وقالت بأن البحور التي سمتها بـ (الصافية) هي البحور التي تتكرر فيها تفعيلة من نوع واحد متشابه كالرمل والهزج والمتقارب . وهي التي تناسب

---

(17) – درو ، إليزابيث ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، 51 .

(18) – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، 229 – 230 .

(19) – ينظر : أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشعر ، 208 .

شعر التفعيلة ، لأن الشاعر يكرر تفعيلة من نمط متشابه وهذه البحور ثمانية ، أما البحور التـــي لا تتشابه تفعيلاتها كالطويل والبسيط وغيرهما فلا تصلح وزنا لشعر التفعيلة.[20]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

[20] – ينظر : الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، 67 – 69 .

القافية :

حد القافية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي هي من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن ، أما عند الأخفش : فهي آخر كلمة في البيت أجمع ، وإنما سميت قافية لأنها تقفو الكلام ، أي :تجيء في آخره . [21]

"والقافية من لوازم الشعر العربي وجزء من موسيقاه ، بها تتم وحدة القصيدة ؛ وتتحقق الملاءمة بين أواخر أبياتها ، وقد درج الشعر -غالبا- على وحدة الوزن والقافية في كل قصيدة حتى هذا العصر الحديث ؛ ثم أخذ الشعراء يجمعون في القصيدة الواحدة بين أوزان مختلفة وقواف عدة ". [22] لكننا عندما نتحدث عن القافية في شعر المتوكل طه ، فإننا نتحدث عن القافية في الشعر الحر ، لأن شعره كله شعر حر ، ومن المعروف أن الشعر الحر يحتاج إلى نظام القافية احتياجا ماسا "؛ لأنه شعر يفقد بعض المزايا الموسيقية المتوفرة في شعر الشطرين الشائع. [23]

" وإن مجيء القافية في آخر كل شطر سواء أكانت موحدة أم منوعة يتكرر إلى درجة مناسبة يعطي هذا الشعر الحر شعرية أعلى ، ويمكن الجمهور من تذوقه والاستجابة له ". [24]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

---

(21) – ينظر : التبريزي ، الخطيب ، الوافي في العروض والقوافي ، ت : فخر الدين قبادة ، ط4 ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 م ، 199 .

(22) – الشايب ، أحمد ، أصول النقد الأدبي ، 325 .

(23) – الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، 164 .

(24) – المرجع نفسه ، 164 .

وأول ما يلحظ في موضوع القافية عند (المتوكل) تمسكه الشديد بها على اختلاف أنواعها ، ولم يتخل عنها الشاعر طيلة مراحل كتابته للشعر ، وتتميز القافية عنده بأنها ركن أساس من أركان قصيدته وتحدث رنينا ولحنا موسيقى دائمة الاتصال بما قبلها .

ولم يتجاوز الشاعر القافية إلا في مواضع قليلة كانت تحول دون نمو الصورة أو اكتمالها ، فكان يلجأ إلى التخلص من قيدها وطغيان جرسها ، لذا نجده يتخطى القافية إلى (التضمين) في سبيل إطالة الجملة الشعرية ، وسوف أنتقي أمثلة على ذلك في السطور القادمة.

" وهناك حروف تصلح للروي فتكون جميلة الجرس لذيذة النغم ، سهلة المتناول ، وبخاصة إذا كانت القافية مطلقة ، ومن ذلك الهمزة والباء والدال والراء والعين واللام " ، ويروى الأستاذ (أحمد الشايب) أن حروفا مثل : التاء والثاء والذال والشين والضاد والغين ثقيلة غريبة الكلمات ، لذا فهو يرى أن اختيار الروي من مقاييس الشعر الدقيقة. [25]

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

بناء على ما تقدم نلحظ أن (المتوكل) حافظ على اختيار الأحرف ذات الجرس والنغم الرنان ، ففي ديوانه الأول (مواسم الموت والحياة) استخدم قافية الهاء الساكنة في خمس قصائد ، وهي قافية تساعد على الاستراحة في النظم والإلقاء ، وتفرغ المكبوتات وتنفس عن صدر الشاعر ، ومن أمثلة هذه القافية عند الشاعر : [26]

---

[25] – ينظر : أصول النقد الأدبي ، 326 .

[26] – طه ، المتوكل ، مواسم الموت والحياة ، 90 – 91 .

أقطن ضفة الأحلام

بين التين والكرمة

... وكنت النار أجمعها

قبيل بزوغ فجر الشمس ، في العتمة ،

وأفطر زيت زيتون

وأقضم بصلة خلعت من الرمه

وقد استخدم الشاعر هذه القافية في معظم مجموعاته الشعرية ، وكانت تأتي على شـــكل استراحة بين الرنين والإيقاع الذي تحفل به القوافي الأخر في المجموعات الشعرية ، وقد حظيت قافية الباء الساكنة بنصيب وافر في (فضاء الأغنيات) ؛ حيث ظلت النقطـــة المركزيـــة للتقفيـــة الرئيسة في المطولة جميعها ؛ وهي على الترتيب :

"التراب ، القباب ، الحساب ، السراب ، اليباب ، النقاب ، الباب ، الإرهاب ، الأخشـــاب ، الشباب ، المذاب ، الاغتصاب ، الإرهاب ، الخـــراب ، الأحبـــاب ، اللبـــاب ، الأصحـــاب ، الدولاب ، الغاب ، الأبواب ، القناب ، الأعشاب ، الجواب ، الخطاب ، الثواب ، ثياب ، الســـذاب ، الشهاب ، الذئاب ، الاستلاب ، الركاب ، الرحاب ، الكلاب ، الصواب ، الـــتراب ، الرقـــاب ،

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

الخضاب ، العتاب ، الكتاب ، الاغتراب ، يهاب ، المآب ، الجناب ، المصـــاب ، الانســحاب ، الأوشاب ، الأنصاب ، آب ، الأغراب ، جراب ، الأهداب ، حجاب ، الإنجاب ، الصعاب ".

وهذا يدل على مقدرة فائقة لدى الشاعر على نسج القوافي ، كما أنه يدل علـــى تمســك الشاعر بنظام التقفية ، مع أن قلة من الشعراء المعاصرين قد التزموا قافية موحدة. [27]

كما أن الشاعر استخدم قافية الهمزة ثماني عشرة مرة في قصيدة (ونحن ســـواء) فـــي ديوانه (زمن الصعود) مما يدل على أن الشاعر يجد في نفسه هوى وميـــلا نحـــو هـــذه القافيـــة الرصينة المتماسكة ذات النبر القوي الرنان .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومال الشاعر في بعض قصائده إلى أن تكون القافية طوال القصيدة حرفين مـــترابطين ، وفي هذه إضافة أخرى إلى مقدرات الشاعر والتزامه وحرصه على موسيقى القافية ، ومن أمثلـــة ذلك : [28]

" الفاتحة ، السابحة ، ذابحة ، النافحة ، الجامحة ، نائمة ، الجارحة " كما أن من مميزات نظـــام التقفية عند الشاعر القافيتين المتقابلتين أو القافية المزدوجة مثل : [29]

بين جداران الزنازين يكون العام يوما

ويكون اليوم عام ...

---

(27) – أبو عمشة ، عادل ، العروض والقافية ، ط1 مكتبة خالد بن الوليد ، نابلس ، 1986 ، 251 .

(28) – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 99 – 100 .

هذه حكمة السجين وأيام السجين

ولهذا يخرج المسجون من سجن الظلام

هرما طفلا ، ولحنا ... وأنين

(عام / الظلام) و (السجين / أنين)

وكذلك قوله : [30]

يخرجون الآن من إثم اللقاءات

على درب السلام

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يحملون المسجد الأقصى وأجراس القيامة

ويقوم الشبل من زنزانة الرعب يغني .. للأمام

ويخلي خلفه في الليل رملا ونعامة

(السلام / الأمام) و (القيامة ونعامة)

لكن الشاعر تخلى عن القافية في مواضع قليلة نظرا لعدم اكتمال الفكرة أو الصورة مثل: [31]

السجن يصقل زند الفتوة

يزرع معنى التجلد في الروح

---

[29] – نفسه ، 80 .

[30] – نفسه ، 78 .

يخلق روح الجماعة في الفرد

يسكن فولاذ صبر الرجال بقلب الجزوع

ويصهر صلصال آدم فينا

لنغدو شلال نور ونار

فحرص الشاعر على نسج صورة متكاملة لطبيعة السجن والحياة فيه أبعده عن الالـــتزام بالقافية لذا فقد كان الشاعر يلجأ في بعض الأحايين إلى التخلص مـــن قيـــد القافيـــة ، وطغيـــان جرسها إذا حال وجودها دون نمو الصورة أو اكتمالها إلى التضمين . [32]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مثال ذلك قول الشاعر : [33]

أكتب من نرجس القلب

آية حبي الكبير إليك

حيث جاء المفعول به في السطر الثاني ، بينما جاء الفعل والفاعل في السطر الأول.[34]

وأشير إلى أن الشاعر استخدم في قوافيه أحرفا أخرى مثل الراء الســـاكنة ، والقـــاف ، والكاف ، والتاء ، والميم ، والحاء ، والنون ، والعين .

---

(31) – طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 82 .

(32) – أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل ، 232 .

(33) – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 36 .

(34) – ومن أمثلة ذلك ينظر ، مواسم الموت والحياة ، 17 . 18 . 20 .

ولم يستخدم أحرفا ثقيلة ، مثل الضاد ، والخاء ، والشين ، والطاء ، والغين ، "الحقيقة أن القافية ركن مهم في موسيقى الشعر الحر ؛ لأنها تحدث رنينا ، وتثير في النفس أنغاما وأصداء ، وهي فوق ذلك فاصلة قوية واضحة ، بين الشطر والشطر ، والشعر الحر أحوج ما يكون إلى الفواصل ؛ خاصة بعد أن أغرقوه بالنثرية الباردة ". [35] كما ويلحظ أن بعض القوافي في شعر (المتوكل) تنسجم مع الحدث ، كالقصيدة التي ارتجلها الشاعر بعد اقتحام جنود الاحتلال لخيام المعتقلين في النقب حيث جاءت القوافي ذات حدة وعنف في إيقاعاتها . مثل : (عاصفة ، راعفة ، واقفة ، ناشفة ، قاذفة ، راجفة ...) .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أما تخلي الشاعر عن القافية في بعض قصائده [36] فهو قليل كما أنه لا يعني بأي حال من الأحوال النزوع إلى السهولة في صناعة الشعر ، بل العكس هو الواقع ، إذ أن ذلك التخلي يفرض على اللغة مطالب عسيرة المنال ، عندما يزول صدى القافية مع الآذان يصير النجاح أو الإخفاق في اختيار الألفاظ ، وبناء العبارات ، وسائر نظام القصيدة . [37]

الموسيقى الداخلية في شعر المتوكل طه :

---

(35) – الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، 165 .

(36) – ينظر : طه ، المتوكل ، رغوة السؤال ، 82 .

(37) – ينظر : بكار ، يوسف حسين ، بناء القصيدة في النقد العربي ، دار الأندلس ، لبنان ، 1982 ، 193 .

تلتئم عدة عناصر وتتشابك وتتداخل لصناعة الموسيقى الداخلية للنص الشعري ، "إن هـذا الجرس أو الهدير أو الصخب أو الضجيج إنما يتأتى من البناء المعماري للنص الشعري".[38]

إذن هناك علاقات داخلية ذات صبغة انضباطية تحكم هذا البناء ، ويقوم هذا البناء أصـلا على الكلمة المفردة التي ترتبط بالكلمة المفردة الأخرى بوشائج عضوية .[39]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(38) – طه ، المتوكل ، الساخر والجسد ، 267 .

(39) – ينظر : المرجع نفسه ، 288 .

تكرار الأحرف والكلمات

فالحرف لا يكتسب قيمته الإيقاعية إلا باقترانه مع الحروف الأخرى ضمن الكلمة والعبارة ، وقد برزت هذه الألفاظ المكررة باعتبارها لوازم موسيقية ، ونغمات أساسية تخلق جوا نغميا ممتعا . [40]

برزت هذه الظاهرة الموسيقية كثيرا في شعر (المتوكل) ، ومن أمثلتها : [41]

إني أريد السلام .. ولكن

سلاما يعيد لأمتنا قدسها الكاسفة

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة سلام بدون السلام ، سلام عليه
مركز ايداع الرسائل الجامعية

سلاما ، بدون السلام ، سلام عليه

وتبقى الكوابيس والعاصفة

ففي هذه المقطوعة كرر الشاعر لفظه (سلام) خمس مرات متتاليات ، فضلا عن مجاورتها ألفاظا تناسبها موسيقيا ، ويلعب صوت السين دورا واضحا في العلاقة الموسيقية ، مثل (كاسفة) و (الكوابيس) وبهذا يكون حرف السين قد تكرر في هذه المقطوعة ثماني مرات ، محدثا صفيرا غنائيا حافلا .

---

(40) – ينظر : المرجع نفسه ، 288 .

(41) – طه ،المتوكل ، رغوة السؤال ، 21 .

أما تأثيره على المعنى فيكمن في تمكن الشاعر من إظهار صورتين متناقضتين للسلام ، صورة السلام الذي ينشده الشاعر ومعه أبناء أمته ، وصور السلام الذي يرتأيه أعداؤه ، والفرق كبير بين الطرحين والصورتين .

وهذا الإيقاع الداخلي الذي أحدثه التناغم الموسيقي ساعد في إبراز تناقض الحالين ، ومكن المتلقي من استساغة المقطوعة بشكل انسيابي مبتعدا في ذلك عن الخطابية الجافة الثقيلة على السمع .

ومن الأشكال المؤثرة في موسيقى القصيدة الداخلية أن يكرر اللفظ في مطلعها مما يمكن المتلقي من الاستعداد النفسي للانسجام مع إيقاعات النص ، مثال ذلك ، قول الشاعر :[42]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(42) – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 35 .

لعلك يا أخت روحي بخير

لعل جميع اللواتي عشقن الحياة بخير

لعل الجميع بخير

تكررت كلمة (لعل) في مطلع الأسطر الثلاثة ، وكلمة (بخير) في نهايتها ، إلى جانب كلمة (جميع) التي تكررت مرتين في سطرين متتاليين .

كما أن الانسجام حدث في الكلمات من خلال تكرر حرف (العين) ست مرات في المفردات الآتية : (لعل ، جميع ، عشقن) ، ويلحظ أن حرف العين جاء في المواضع الستة مفتوحا مما يساعد على إثراء الموسيقى الداخلية الناتجة عن تجاور هذه الأصوات وخروجها على وتيرة متناسقة متفقة مع الوضع النفسي الذي عانى منه الشاعر حينما أرسل هذه القصيدة إلى الأسيرات الفلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تكرار العبارات :

نقلت مسبقا ما قالته (نازك الملائكة) من أن أسلوب التكرار يحتوي على كل ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانيات تعبيرية . [43]

---

[43] – قضايا الشعر المعاصر ، 230 .

ولا شك في أن تكرار العبارات ، إذا جاء في مكانه المناسب ، وضمن حلقـــة صوتيـــة مترابطة غير مفككة ، فإنه يثري موسيقى النص وينقل الفكرة فيه مؤكدة ومؤثرة.

إن التكرار في الشعر مثله في لغة الكلام ، يستطيع أن يغني المعنـــى ، ويرفعـــها إلـــى مرتبة الأصالة .[44]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

(44) – ينظر : نفسه ، 230 .

وكثر هذا الأسلوب في شعر (المتوكل) ، ومن أمثلته : [45]

وما من نبأ

سوى بقعة من سراب المكاتب

تحرق في الحلق أرض الظمأ

وما من نبأ

سوى أن روح الشهيد استوت للمفاوض

طاولة للضياع

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

بلا غاية أو اتساع

وما من نبأ

سوى أن بعض الملوك استعادوا العرش

من الطفل في عربات النحاس

إلى التاج فوق مرايا سبأ

وما من نبأ

سوى أن هذا الجدار خطأ

---

[45] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 36 – 37 .

وما من نبأ

سوى أن هذا الجدار خطأ

فقد وزع الشاعر عبارة (وما من نبأ) على مقطوعات النص بشكل متواز ليحقق درجة عالية من الموسيقى الداخلية المدعمة باختيار محكم لتوزيع التكرار ؛ حيث كرر الشاعر (وما من نبأ) ست مرات وكرر (سوى أن هذا الجدار خطأ) مرتين ، وقد عمل هذا التوزيع المرتب للعبارة على التهيؤ في كل مرة وبأسلوب السخرية لتلقي نواقض المسيرة السلمية ، وفشل سياسة التسوية مع العدو .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حقق إيقاع العبارة الموسيقي سخرية الصورة حينما تتحول الحالة الفلسطينية إلى مكاتب على جماجم الشهداء ، وتصبح روح الشهيد مادة للتفاوض والبيع ...

هكذا تظل العلاقة واضحة بين عناصر الموسيقى من جهة ، والمعنى المطروق من جهة أخرى .

ومن أمثلة تكرار العبارات ، قول الشاعر : [46]

ويزور الأطفال ، قضى الآباء

وظلوا شهداء ، ويحكي

---

[46] – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 13 .

سيرتهم بالقرآن ...

وأخيرا ، يعطي الأمر إلى السجان

فيا سبحان

ويا سبحان

ويا سبحان

فتكرار عبارة (يا سبحان) أحدثت إثارة موسيقية ؛ لأنها جاءت في نهايـــة المقطوعـــة ، وساعد هذا التكرار على فتح الباب والأفق ؛ وتركه على مصراعيه للاستغراب والدهشـــة مـــن التناقض والمكر والخداع الذي يمارسه حكام الأمة العربية ، ففي النهار يزورون أطفال الشـــهداء ، ويلقون بين أيديهم الكلمات والخطابات ، أما في الليل فينقلب الموضوع رأســـا علـــى عقـــب ، ويخرج جنود للانتقام من أبناء الشهداء ، واعتقالهم .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تكرار العبارة ثلاث مرات ، في مكان مناسب هو نهاية النص ، عمل على فتـــح الأفـــق وترك فضاء واسع لمزيد من التخيلات والتوقعات السيئة .

القوافي الداخلية والارتباط بقافية رئيسية :

القافية الداخلية هي القافية التي تتغير في النص عدة مرات ، بينما القافية الرئيسية فـــهي القافية التي تظل متكررة عبر النص الشعري كله .

وقد لجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب في أكثر من مجموعة شعرية ، ففي ملحمة (فضاء الأغنيات) التزم الشاعر قافية واحد هي الباء الساكنة ، لكنه في أثناء النص ، نوع القوافي من الكاف الساكنة المسبوقة بفتح مثل (حولك ، سيفك ، أهلك) وكذلك قافية القاف الساكنة المسبوقة بفتح مثل (الخندق) وكذلك النون الساكنة المسبوقة بألف مثل (الطغيان ، اطمئنان ، السجان).

وهذا التوزيع للقوافي الداخلية يعمل على نفي الملل والثقل والاعتيادية المكررة ، كما أن ارتباط الأذن بقافية رئيسة في نهاية كل مقطع يعمل على الرتابة الموسيقية ؛ مما يجعل النص أغنية لدى المتلقي.

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن أمثلة ذلك التوزيع للقوافي قصيدة (بودا) [47]؛ حيث ظلت قافية النون المسبوقة بياء هي القافية الرئيسة للقصيدة ، وخلال مقطوعات القصيدة كانت هناك قواف لكل مقطوعة .

ولا بد من الإشارة إلى أن كما كبيرا من القصائد ذوات القوافي الفرعية والرئيسة قصائد تحتوي على عنصر المفارقة بين صورتين أو صوتين لا اتفاق بينهما ، وهنا يبرز أثر العامل الموسيقي في المعنى ، فكأن الشاعر يختار للحالة الأولى قافية ، وللحالة المضادة قافية ، فيعمل هذا التقسيم على تدعيم هيكلية القصيدة واقترابها من الأذان على وترين أو نغمتين . [48]

التدوير :

---

[47] – ريح النار المقبلة ، 5-12 .

[48] – يلحظ ذلك بوضوح في قصيدة (بودا) ، ريح النار المقبلة ، 5 – 16 .

وهو ظاهرة لافتة للنظر في شعر (المتوكل) حيث يستخدمها في كل أنـــواع قصـــائده ، ذات المقطع الواحد والمقاطع العديدة . [49]

مع أن الحاجة إلى التدوير تنتفي في الشعر الحر ، لأن طول الشطر غير معين بحيـــث يستطيع الشاعر أن يضع ما يشاء من تفعيلات مستغنيا عن التدوير ، وعلى هذا الأســـاس كـــان ينبغي أن يجمع الشاعر كل سطرين مدورين معا . [50]

لكن (المتوكل) يرى أن التدوير خصوصية للشعراء المتمكنين ، لأنه يحتاج إلـــى نفـــس طويل ، ولغة متماسكة ، ومعجم ثري ، وإيقاعية مترابطة منسجمة . [51]

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

التدوير عنصر قوي من عناصر الموسيقى الداخلية في الشعر ، وأن جمع كل ســـطرين في سطر ممكن إذا كان التدوير فيهما فقط ، لكن الأمر يختلف هنا ، حيث نلحـــظ التدويـــر فـــي سطور شعرية كثيرة يصعب الجمع بينها ؛ ولا مفر من التدوير ، مثال ذلك قول الشاعر [52]

نقول : قد بدأ النشيد العارم الهدار

وابتدأت حكايات الصغار

تصاعدت فينا حجارتهم

---

(49) – ينظر : أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل ، 233 – 234 .

(50) – ينظر : الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ، 158 .

(51) – مقابلتي مع الشاعر ، بتاريخ 2001/7/16 في (رام الله) .

(52) طه ، المتوكل ، فضاء الأغنيات ، 13.

وفي صدر الجبال ترنق السماق من دمهم

وظلوا في فضاء الأغنيات

أمينها السري أو حبل التراب

ويمكن أن نرى بسهولة أثر التدوير في هذه الموسيقى المفعمة بالحيوية والحركة لأن الحدث (الانتفاضة) يناسب هذا التداخل والتشابك في كل الأسطر الشعرية التي تصور حركات المواجهة والاشتباكات وهبة النار ؛ كما يلعب التدوير هنا دورا في تفريغ مكبوتات الشاعر ، خاصة أنه كتب هذه الملحمة خلال فترة اعتقاله إداريا في النقب الصحراوي عام (1988م).

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

التصريـــع :

" هو أن يجعل الشاعر العروض والضرب متشابهين في الوزن والروي في البيت المصرع"[53] والتصريع عند النقاد " دلالة على قوة الطبع ، وكثرة المادة ". [54]

كما أنه تكثيف وضغط وتركيز للموسيقى واللفظ . [55]

والتصريح إذن يتعلق بالشعر العمودي الذي لم ينشر منه (المتوكل) سوى بضع مقطوعات في ديوانه (حليب أسود) .

ومن أمثلة التصريع فيه قول الشاعر : [56]

---

[53] يعقوب ، إميل بديع ، المعجم المفصل ، 194.

[54] – نفسه ، 194 .

قطعت أصابعي وكسرت عودي

وأبعدت البلابل عن حدودي

وكذلك قوله : [57]

أجررت "حبل خليع في الصبا غزل "

وشمر الفرس أيديهم إلى الأسل

و هكذا يعمل التصريع على "إعداد الآذان لقرار النغم في القصيدة ". [58]

ويمكن أن يقع التصريع داخل القصيدة ؛ وليس في مطلعها فقط ، وإذا وقع في داخل القصيدة ، فإنه يثري الموسيقى الداخلية كذلك .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

مثال ذلك قول الشاعر : [59]

أجـــررت "حبل خليـــع في الصبـــا غزل

وشمـــر الفـــــرس أيديهم إلى الأســـل

هذا صـــــريع الغواني جـــــن في مقـــل

وما تنبـــــه أن المـــــوت في المقـــــل

---

(55) – طه ، المتوكل ، الساحر والجسد ، 272 .

(56) – طه ، المتوكل ، حليب أسود ، 18 .

(57) – نفسه ، 37 .

(58) – غنيم ، كمال أحمد ، عناصر الإبداع الفني ، 306 .

(59) – طه ، المتوكل ، حليب أسود ، 37 .

الجنـــــاس :

بما أن الجناس يعني تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى ، فلا بـــــد للتشـــابه اللفظي من أثر موسيقي .

والجناس نوعان : جناس تام ، وجناس ناقص .

ومن أمثلة الجناس التام قول الشاعر : [60]

سلام بدون السلام سلام عليه

فكلمة (سلام) الأولى تعني : الاتفاق السلمي الناتج عن المفاوضات بين الفلسطينيين مـــن جهة ، والإسرائيليين من جهة أخرى .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

والثانية (سلام) بمعنى فقدان الأمل واليأس منه .

والجناس غير التام كثيرة أمثلته عند الشاعر ، مثال ذلك قوله : [61]

من يحمل الجسور والقصور

ويجرح الفضاء بالنسور

صحن الحديد

أم قلادة الذهب ؟

---

[60] – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 16 .

[61] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 40 .

وكيف أصبحت سنابل التراب

لعبة السراب

والتعب ؟!

(الجسور / النسور) : جناس غير تام ، وكذلك (التراب / السراب) ، واضح أن هذا الجناس يعمل على تواؤم الكلمات ، بسبب التشابه في أحرفها وأصواتها وتجاورها .

الطباق :

ويسمى التضاد ، والمخالفة ، ويخلق الطباق نغمة موسيقية داخل المقطوعة الشعرية تساعد في الموازاة بين الحلم والواقع ، ويعد الطباق أكثر الأساليب تأثيرا (فالضد يظهر حسنه الضد) .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الإسلامية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

يقول الشاعر : [62]

ثلاثون سيجارة إثر خمسين تشعلها في النهار أو الليل ،

لم يعد الوقت يعني كثيرا

وكذلك يقول : [63]

ناداها ، ونادى ،

---

[62] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقلة ، 40 .

[63] – المصدر السابق ، 56 .

ورأى فيما رأى في غفوة الصحوة ..

غفوات وصحوة

فالطباق في المثال الأول بين (الليل / النهار) ، والمثال الثاني (غفوة / الصحـــوة) لكـــن موسيقى الطباق في المثال الثاني أبلغ تأثيرا على نغمة النص من المثال الأول ، لأن الضد حينمـــا يضاف إضافة إلى الآخر يكون قد شحن السطر الشعري بموسيقى ارتداء المعنيين أو ما يطلـــق عليها (الموسيقى الفكرية) وهي مؤثرة في المعنى ، وحالة التناقض ، والتضاد ، والتنافر، بحيـــث تقدم المعنى أكثر انسجاما مع الأذن .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ومن أمثلة الطباق قول الشاعر: [64]

والموت حل للحياة

يجيء مثل المس شفافا

تلك درجة هادئة من الموسيقى يستوحيها المرء من اللفظ المتقابل مع ندة ، فيما يصبـــح المـــوت حلا لمتاعب الحياة .

الفواصل الصامتة

---

[64] – طه ، المتوكل ، نقوش ، 27 .

حيث يقسم الشاعر قصيدته إلى مجموعة فقرات درامية ، ويختم كل مقطـــع بنقطـــة أو فاصلة صامتة يضطر إليها المتلقي مثلما الشاعر .

وأفضل مثال على ذلك قصيدة (صورة ليلية) التي يصور فيها الشاعر : [65]

يجيئون في الليل

يسطون مثل الأفاعي على الحي ،

ينتشرون على أسطح العشب

تبرق بعض العيون ، وتصحو القلوب

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

اعتقال!

وبعد هذا المشهد يتهيأ المتلقي لمرحلة أخرى يتطور فيها الحدث ، وتظـــل علـــى نفـــس الوتيرة والنغمة الموسيقية لتزدحم الأحداث بتسلسل .:

مئات الذئاب تحيط المنازل ،

تغلق كل الدروب ،

تشعل أضواء خوف الجنود المدينة ،

يعبر بعض العساكر كل الأزقة ،

---

(65) – طه ، المتوكل ، زمن الصعود ، 99 – 100 .

تمشي الهريرة ، تجفل أسلحة الرعب ،

تنهال نيرانهم للقتال !

لقد حسبوا هرة الحي جيشا

فيا للجيوش .. و يا للنزال !

و هكذا يستمر الشاعر في إعطاء خاتمة كل مشهد ، لينتقل بعد الفاصل إلى مشهد آخـــر ، وربما تكون الفواصل الصامتة تمهيدا للـــحن آخر ، يشتمل على حـــدث أو صـــورة جديـــدة ، بحيث تؤثر العناصر الموسيقية في توجيه المعنى ، وتقسيم الأفكار ، وتوزيع الأحـــداث .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

تفتيت الشكل :

عمد (المتوكل) في مجموعاته الشعرية بعد (أوسلو) إلى التخلص من الروتين تعبيرا غير مباشر عن ثورته على الواقع ، وتمرده على قيود التسوية .

فقد كتب الشاعر القصائد الحرة على شكل سطور متلاصقة متتابعة ، تشبه النثر ، بحيـث خرج الشاعر عن النمط المألوف لكتابة شعر التفعيلة أسطرا قصيرة .

مثال ذلك قول الشاعر : [66]

---

[66] – طه ، المتوكل ، ريح النار المقبلة ، 5 .

"أردية الزغفران على صدر بوذا تغطي الهدوء الأميري ، من يوم أن روعتــه التعاســات فــي الأرض ، يمضي إلى سبحة الكهنوت لئلا تموت الشموع ، وينعف فـــي الصلــوات البخــور ، وينصب ماء القداسة عند التراتيل : بوذا الأمير الذي قاوم المجد والنهد ، تعبق عيناه في اللــب ، يدخل ضوء السعادة والكشف ، حتى يرى الناس كالجلنار ".

ويملأ هذا الشكل ديواني (ريح النار المقبلة) و (حليب أسود) كما أن الشاعر كتب شـــعرا حــرا يمكن إعادة كتابته عموديا .

مثال ، يقول الشاعر : [67]

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

إنني سر معراجها

حين تعلو

والجناحان والهوا والسماء

أعتليها ، على شهوة النار ، ثلجا

فتدور الأمواه والأنواء

أعتليها كما يشاء جنوني ،

أو كما ترتضي ،

---

[67] – طه ، المتوكل ، أو كما قال ، 40 .

ويبغي الإناء

حيث يمكن إعادة كتابة هذا النص على الشكل الآتي :

إنني سر معراجها حين تعلو والجناحان والهوا والسماء

أعتليها على شهوة النار ثلجا فتدور الأمـــواه والأنـــواء

أعتليها كما يشـــــاء جنوني أو كما ترتضي ويبغي الإناء

وهذا يشير إلى مدى احتفاء الشاعر بالجانب الموسيقي ، وهو الروح في جسد القصيـــــدة ، كما أن الشاعر يسعى إلى الخروج عن المألوف ، وتحقيق غنائية عالية في قصيدته الجديدة .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

قائمة المصادر والمراجع

أولا : الكتب السماوية

- القرآن الكريم

- العهد الجديد (الإنجيل)

ثانيا : المصادر الشعرية للشاعر (حسب الأحرف الهجائية)

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- أو كما قال ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،دار الفارس - عمان - 1999 .

حليب أسود ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينين ، القدس 1999

رغوة السؤال ، ط1 ، دار الكاتب ، القدس ، 1992

ريح النار المقبلة ، ط1 اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، 1995

زمن الصعود ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، فلسطين ، 198

فضاء الأغنيات ، ط1 ، دار الكاتب ، القدس ، 1989 .

مواسم الموت والحياة ، ط1 ، دار العودة ،القدس، 1987

نقوش على جدارية محمود درويش ، ط1 ، بيت المقدس للنشر ، القدس ، 2001

ثالثا : الدراسات

- إبراهيم ، زهير ، مقدمة في فقه اللغة العربية ، ط2 ، مكتبة محمد الثقافية ، الخليل ، 1995.
- الأحمد ، أحمد سليمان ، الشعر الحديث بين التقليد والتجديد ، الدار العربية للكتاب ، 1983.
- الأسطة ، عادل :

- أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات ، ط1 ، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية ، 1998 م .

- أرض القصيدة ، ط1 ، بيت الشعر الفلسطيني ، رام الله ، 2001 .

- اليهود في الأدب الفلسطيني ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، 1992 .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- إسماعيل ، عز الدين :

- الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د ت)

- الشعر في إطار العصر الثوري ، ط2 ، دار الحداثة ، 1985 .

- الإشبيلي ، أبو الحسن بن عصفور ، ضرائر الشعر ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1999 م .

- أبو إصبع ، صالح ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1979 .

- أمين ، أحمد ، النقد الأدبي ، ط4 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1969 .

- أنيس ، إبراهيم :

- دلالة الألفاظ ، ط6 ، مكتبة الإنجلو المصرية ، مصر ، 1993 .

* البرغوثي ، عبد اللطيف ، الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة ، مركز إحياء التراث العربي ، الطبية ، (د ت) .

- بسيسو ، عبد الرحمن ، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1991 .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- بكار ، يوسف حسين ، بناء القصيدة في النقد العربي ، دار الأندلس ، لبنان ، 1982

- التبريزي ، الخطيب ، الوافي في العروض والقوافي ، تحقيق : فخر الدين قبادة ، ط4 ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 .

- التميمي ، سمير شحادة ، الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة ، ط1 ، دار العودة ، القدس ، 1991 .

- جبران ، جبران خليل ، رمل وزبد والموسيقي ، ترجمة أنطونيوس بشير (بدون معلومات عن النشر والطبعة والتاريخ) .

- ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة ، نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د ت) .
- الجوهر ، زاهر ، شعر المعتقلات في فلسطين ، ط1 ، بيت الشعر الفلسطيني رام الله ، فلسطين .
- الخباص ، عبد الله عوض ، القدس في الأدب العربي الحديث ، دار النفائس ،عمان ، 1995.
- خوري ، إلياس ، الذاكرة المفقودة ، ط1 ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت 1982
- الخياط ، جلال ، الشعر والثورة ، منشورات وزارة الإعلام العراقية ، 1975 .
- درو ، إليزابيث ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، مكتبة منيمنه ، بيروت ، 1961 .
- دعنا ، عبد العليم ، معتقل النقب الصحراوي ، رابطة الجامعيين ، الخليل ، 1993 .
- الرفاعي ، جمال أحمد ، أثر الثقافة العبرية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، (دت) ، دار الثقافة الجديدة ، مصر .
- السحرتي ، مصطفى عبد اللطيف ، الشعر العربي المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبعة المقتطف والمقطم ، 1948 .
- السعافين ، إبراهيم وآخرون ، أساليب التعبير الأدبي ، ط1 ، دار الشروق / عمان – 1997.

جميع الحقوق محفوظة
مركز إيداع الرسائل الجامعية

- سلسع ، جمال ، الظاهرة الإبداعية في الشعر الفلسطيني الحديث ، مطبعة المعارف ، 1994.
- السلفيتي ، راجح ، ديوانه ، جامعة بير زيت ، 1994 .
- سنداوي ، خالد ، الصورة الشعرية عند فدوى طوقان ، دار المشرق ، 1993 .
- س ، موريه ، الشعر العربي الحديث ، ترجمة شفيع السيد وزميله ، دار الفكر العربي القاهرة (د ت) .
- الشرع ، علي ، لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي الحديث ، منشورات جامعة اليرموك ، الأردن ، 1991.
- شلتاغ ، عبود شراد ، تطور الشعر العربي الحديث ، ط1 ، دار مجدلاوي ، عمان ، 1998.
- صالح ، بشرى موسى ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، ط1 ، المركز الثقافي العربي بيروت ، 1994 .
- الصباغ ، رمضان ، في نقد الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، دار الوفاء ، مصر ، 1998.
- الصنهاجي ، محمد بن محمد بن داوود ، الأجرومية ، ط1 ، دار المشاريع ، لبنان ، 1993.
- ضيف ، شوقي ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط6 ، دار المعارف ، مصر ، 1959.

جميع الحقوق محفوظة
مركز الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- طوقان ، فدوى ، الرحلة الأصعب ، ط1 ، دار الشروق ، عمان ، 1993 .
- عباس ، إحسان ، فن الشعر ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، (د . ت) .
- عباس ، محمود ، طريق أوسلو ، ط1 ، شركة المطبوعات ، بيروت ، 1994 .
- عبد الجبار ، ناجي وآخرون ، دليل متحف التراث الشعبي الفلسطيني ، منشورات جمعية إنعاش الأسرة ، فلسطين ، 1987 .
- عبد الرحيم ، جمال ، اللغة في شعر عبد الرحيم محمود ، رسالة ماجستير (مخطوطة) ؛ جامعة النجاح ، 1996 .
- عبد الهادي ، حسن ، دراسة شعر تاج الملوك ، دار الينابيع ، عمان ، 1997 .
- عرنيطة ، يسرى ، الفنون الشعبية في فلسطين ، ط3 ، منشورات المجلس الثقافي ، أبو ظبي ، 1997 .
- عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ط2 ، دار التنوير ، بيروت ، 1983 .
- العطاس ، هارون أحمد ، عاد في التاريخ ، ط1 ، مطبعة حسان ، القاهرة ، 1978 .
- العلم ، إبراهيم ، الأدب المعاصر في فلسطين ، مركز الدراسات التربوية ، القدس (د ت) .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- علي ، عبد الرضا ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1995 .
- أبو عمشة ، عادل :

- شعر الانتفاضة (دراسة واختيار) ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، 1991.

- العروض والقافية ، ط1 ، مكتبة خالد بن الوليد ، نابلس ، 1986 .
- عيد ، رجاء ، دراسة في لغة الشعر ، منشأة المعارف ، مصر ، 1979 .
- الغزاوي ، عزت ، نحو رؤية نقدية حديثة ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1989.
- غنيم ، كمال أحمد ، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، مصر 1998 .
- الفاهوم ، وليد ، فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي ، ط1 ، دار الجليل ، عمان ، 1985.
- فتح الباب ، حسن ، سمات الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1997 .
- فضل ، صلاح ، نبرات الخطاب الشعري ، دار قباء ، مصر ، 1998 .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- قاسم ، عبد الستار ، أيام في معتقل النقب ، 1989 .
- قاسم ، نادر ، التواصل بالتراث في الرواية العربية الفلسطينية الحديثة ، رسالة دكتوراة (مخطوطة) الجامعة الأردنية ، عمان ، 1995 .
- القيرواني ، ابن رشيق ، ديوانه ، تحقيق : محيي الدين ديب ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998 .
- كرم ،أنطوان غطاس ، ملامح الأدب العربي الحديث ، دار النهار للنشر ، بيروت 1980م.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية – مصر .
- الملائكة ، نازك ، قضايا الشعر المعاصر ،مكتبة النهضة ، (د . ت) .
- ملحس ، ثريا عبد الفتاح ، القيم الروحية في الشعر العربي ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت (د. ت) .
- مندور ، محمد ، الأدب وفنونه ، دار المطبوعات العربية ، (د. ت) .
- المنقري ، نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1990 .
- مواسي ، فاروق ، القدس في الشعر الفلسطيني الحديث – مؤسسة المواكب ، الناصرة ، 1996 .

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

- موجز تاريخ فلسطين ، اللجنة الوطنية لإحياء ذكرى النكبة ، وزارة الثقافة الفلسطينية ، 1998 .
- ناصف ، مصطفى ، الصورة الأدبية ، ط2 ، دار الأندلس ، 1981 .
- أبو نزار ، صخر ، نشيد الحجر ، ط2 ، مؤسسة العنقاء ، 1999 .
- النسفي ، عبد الله بن أحمد ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995 .
- أبو نضال ، نزيه ، الشعر الفلسطيني المقاتل ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، 1974 .
- الهاشمي ، محمد عادل ، أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ط1 ، مكتبة المنار ، الأردن ، 1986 .
- الورقي ، السعيد ، لغة الشعر العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1997 .
- ياغي ، عبد الرحمن ، حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، منشورات المكتب التجاري بيروت (د .ت) .
- يحياوي ، رشيد ، الشعر الحديث (دراسة في المنجز النصي) ، أفريقيا الشرق ، 1998 .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

• يعقوب ، إميل بديع ، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشـــعر ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيورت ، 1991 .

رابعا : الدوريات :

المجلات :

اسماعيل، عبد الله ،قراءة في الأدب الفلسطيني الحديث والمعاصر، مجلة الفجر الأدبي، فلسطين

البياتي ،عبد الوهاب،الشاعر العربي المعاصر والتراث،مجلة فصول ،ع4،1981

حسونة ، خليل ، أم هكذا يرشف الحليب ، مجلة الشعراء ، بيت الشعر الفلســـطيني ، خريـف 1999 .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الاردنية
مركز ايداع الرسائل الجامعية

حليفي،شعيب،استراتيجية العنوان،مجلة الكرمل،464،1992،فلسطين.

حمداوي ، جميل ، السيموطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد 3 ، 1997 دويكـات ، عباس ، بين الإحالة والتأويل ، مجلة الشعراء ، خريف 1999 .

زايد ، علي عشري ، توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر ، مجلة فصـــول ، مجلـد 1 ، عدد 1 ، 1980 .

الطعان ، هاشم ، التراث والأدب المعاصر ، مجلة الشعر ، عدد9 / 1978 .

أبو عمشة ، عادل ، دراسة في شعر المتوكل طه ، مجلة أبحاث النجاح ، مجلـــد 3 / عـــدد 9 / 1995 .

الصحف

: الربيعي ، هادي ، قراءة في حليب أسود ، الحياة الجديدة ، فلسطين ، 2000/8/10.

الروضان ، عبد عون ، قراءة متأنية في حليب أسود ، الأيام : فلسطين ، عدد 1630 .

خامسا : المقابلات (حسب التسلسل الزمني) :

جميع الحقوق محفوظة
مركز ايداع الرسائل الجامعية

1-مقابلة مع الشاعر المتوكل طه ، في رام الله :

2000/11/19 م

2001/6/25 م

2001/7/16 م

2001/10/23 م

2-مقابلة الباحث الكاتب أحمد رفيق عوض -بيرزيت ، 2000/11/20م .

Abstract :

After I completed this research , I can conclude the following results :

First :

The poet comes at the top of uprising poets generation and the last quarter of the past century in Palestine , and he has recorded a distinguished continuation and excessive presence and production .

Second:

several factors has elaborated in shaping the poet innovation and characteristic under both : general, and special environments . He was raised in a house of literature , besides, he has a valuable position socially , But, in the general view, he moved between different positions and experiences that participated in acknowledging him with wide net of literature innovators and their products .

Third :

The national aspect is the main concept , and the Arabic language is the most important feature of the poet .

Since ,the parts of the home , and the strength of the revolution are extended in the poetry , such as , reciting with the identity and the land and up to criticizing the political aspect, but by being far from insults. Also the poet expressed his fears and negative attitudes to words the peace process with the Zionist enemy.

Fourth:

he illustrated the movement and the impulse of his people by viewing a vital picture a bout life at death through giving and my retires, and he went deeply to show the loosing enemy from the inner of the occupier.

Fifth:

the concept of the literacy in the poet work represented an extension to the movement of " prisons literature" , where he produce more than two groups of poems under the excessive heat of AL- Naqab- Jail,.

The poet introduced the picture of the Jail in an abstract and physical manners .

But, the poet didn't show the picture of the cruel punishment that was practiced by the occupier under arresting camps and prisons . He has illustrated the view of the prisoner with high challenge , and with continued giving , and he has drawn a picture of hope with has been rooted from the heart of the suffering and the tragedy .

Sixth:

The picture of the Palestinian woman seemed a bigous, where it was between the traditional and negative view of the woman .
It is that picture , which shows woman as the one who gives birth, and charge man with tender.
But in the positive view , he showed the woman as a complete human being who stick with the man side by side in the battle of the people.
Also poetry viewed the woman as the child , wife , prisoners , and revolution list .

Seventh :

The pot has taken from the humane traditional springs , such as, the religious, historical, popular aspects. He has used this great perspectives in building the modern picture through this environment and culture. The holy verses and the poetry expressions were mixed , and fur the more , the Christian feature of peace , and what the cross symbolize from suffering and tragedy were included too .
The poet has employed the historical cultural dimension with the related surroundings , by describing his to racial characters and events . Also , he didn't ignore the people effect in supporting the above picture , and he has affirmed the national identification giving , and in creased the extent of belonging to this identity and land .

مركز ايداع الرسائل الجامعية

Eighth:

The poetry picture is the maximum of innovation in the poetry expressions . And so, the poet has filled the expressions with pictures which enriched the invention process as an effort that is a way from being direct or related only to the surface .
The fore , the poet , has contributed to the building of the picture by exchanging awareness, and the signals of sense, and the direct description, and all this was in addition to the compound picture that was distinguished by being built in accordance to the size of the subject , such as the experience of arresting and the peace process . The poet didn't ignore the universe , total , picture which he has built through the drama , reality , and the cross section building in a manners that serve in introducing and innovation .

Ninth :

The poet has worked hard in choosing his terms and in retuning his language to reach the Arabic language . There is no doubt , that the Palestinian poet is distinguished for his rich Arabian language . and the

vocabulary of poetry , so, he has use the nominative and verb sentences in an order that suits the situation . He has use some phenomena in order to integrate his poem , such as : repetition, opposites , synonyms , but he fell in some mistakes that hurt few his expressions.

Tenth :

The poetry of AL- Motawikil Taha is rich with good music and good elements of music which seem to proceed horizontally to give life to th e expression . With such ability , he maintained a medium position between the origins of poetry " AL- orood " and the rhythmic expressions that are rich with music, and those imaginary line of in eternal music , and with what it can produce as a deep norm , and it affects by repetition , parallel rhythms, circling, synonyms , matching , and the mutual commas , and his effort to disperse the common shape by maintaining the general from , specially by using free modern poetry that refers to the type of the verb which is called " tafeela ". In all of his poetry poems .

Eleventh :

The experience of the poet witnessed the development and continuous improvement through every poem publication , and this is represented in Oslo phase which is an important turn in his experience passage in the shape and in the essence , in order for the poet to bring to us the viewing of stones , ignition of tires , and up to the oppression of the selfish class and to portray the picture of attendance , and absence and the reasonable and the un reasonable in the peace consequences and amplifications with the tendency to words the culture, historical features , and the sky expressions in order to introduce events , and characters .

Our last call :
Thank God " Allah " , who he is
The God of all

The researcher :